# إدارة مكة المكرمة في عهد الدولة السعودية الأولى(*)

**د. عبدالله بن محمد المطوع**
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

ينطلق هذا البحث من فرضية مؤداها أن الدولة السعودية الأولى اشتهرت - وخاصةً أثناء مدة البحث وهي المدة الأخيرة من حكم الإمام عبدالعزيز بن محمد ومدة حكم الإمام سعود بن عبدالعزيز - بقوتها العسكرية والسياسية ونفاذ سلطتها وتطبيقها بشكل قوي في كل الأماكن التي وصلت إليها وأصبحت جزءاً من تلك الدولة. وفي إطار هذه الفرضية فإن هذا البحث يهدف إلى فحصها من خلال التعرف على التغيرات السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية التي أدخلها السعوديون الأوائل في إدارة مكة المكرمة خلال سنوات حكمهم التي امتدت على فترتين:

(*) أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لكل من قدم لي مساعدة أثناء العمل في هذا البحث، وأخص بالشكر: د. فهد بن عبدالله السماري، وأ. د. سليمان بن عبدالرحمن الذبيب، ود. عبدالله بن محمد المنيف، ود. سهيل صابان وأ. حمد بن عبدالله العنقري على تفضلهم بقراءة المسودة، وإبداء كثير من الملحوظات القيمة، وكذلك على تزويدهم لي ببعض الوثائق والمصادر.

**الأولى:** أقل من ثلاثة أشهر، وامتدت ما بين ٨ المحرم حتى أواخر شهر ربيع الأول ١٢١٨هـ /١٨٠٣م.

**الثانية:** سبع سنوات، وامتدت ما بين سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م حتى سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢م.

ولكن قبل أن أتطرق إلى هذا الموضوع لابد من إلقاء نظرة سريعة على كيفية وصول الحكم السعودي إلى مكة المكرمة.

**تمهيد:**

وقف أشراف مكة موقفًا سلبيًا من الدولة السعودية الأولى ومن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منذ السنوات الأولى لظهورها؛ مما أدى إلى تأزم العلاقات بين الطرفين لمدة طويلة[1]. وفي مستهل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي تمكنت الدولة السعودية من توحيد نجد وتسنم

---

(١) للمزيد من المعلومات حول تلك العلاقات، انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، الرياض: المكتبة الأهلية، ط١، ١٣٦٨هـ، ج١، ص٣١، ٣٧، ٧٩-٨١، ١١٩-١٢٠، وعثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز. ط٤، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٥٩-٦٠، ١١٤، أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام حتى زمننا هذا بالتمام، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ، ص٢٢٧-٢٢٨، وأحمد السباعي، تاريخ مكة، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ج٢، ص٤٩١، ٤٩٥، ٥١٣، ٥٥١-٥٥٣، وعبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ج١، ص١٢٣-١٢٧.

الشريف غالب بن مساعد مقاليد الأمور في مكة المكرمة سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م، فدخلت العلاقات مرحلة جديدة. لحظ الشريف غالب سرعة تنامي وانتشار النفوذ السعودي في أكثر من اتجاه، ومحاولةً منه لفهم سر ذلك النمو طلب من الدرعية أن تبعث بأحد علمائها للتباحث، فأوفدت له الشيخ عبدالعزيز الحصين الذي لم يكن غريبًا على مثل هذا العمل، حيث سبق أن قام بمهمة مشابهة(٢)، ولكن علماء مكة المكرمة رفضوا التباحث معه. ومن غير المعقول أن يطلب الشريف غالب التفاوض، ثم يرفض علماؤه القيام بذلك، ولكن يبدو أنه لم يكن جادًا في مسألة التفاوض بقدر ما كان يريد أن يبرر ما كان يخطط له من إجراءات تجاه الدرعية.

تسارعت الأحداث خلال العقدين الأولين من هذا القرن، حيث أرسل الشريف غالب ثلاث حملات إلى نجد، كانت الأولى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، ومع أنها توغلت في نجد ووصلت إلى قصر بسام في القصيم، إلا أنها لم تنجح في تحقيق أهدافها، ولذا طلب المساعدة من الدولة العثمانية. وبعد

(٢) هو الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين، ولد في قرية الوقف بالقرب من شقراء بإقليم الوشم. قرأ في بلده على الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل، ثم رحل إلى الدرعية، وقرأ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب. عُين قاضيًا في شقراء، وتولى الإفتاء والتدريس فيها، وكان موضع ثقة عند حكام الدولة السعودية الأولى؛ ولذا أرسل في مهمتين لمناظرة علماء مكة: كانت الأولى في سنة ١١٨٤هـ، والثانية سنة ١٢٠٤هـ. توفي في شقراء سنة ١٢٣٧هـ. للمزيد من المعلومات، انظر: عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج٣، ص٤٥٤-٤٦٤.

خمس سنوات أردفها بحملة أخرى فما كان من الإمام عبدالعزيز بن محمد، إلا أن أمّر على أتباعه هادي بن قرملة، زعيم قبيلة قحطان، وأمره بالتصدي لها، فأحرزوا نصرًا كبيرًا في معركة الجمانية[٣].

تلا ذلك معركة الخرمة سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م التي تعد نقطة تحول رئيسة في الصراع الدائر بين الطرفين، حيث مني الشريف غالب بهزيمة قوية أظهرت له مدى تفوق القوات السعودية. وبعد هذه السلسلة من الهزائم المتوالية والتغير في مواقف القبائل الحدودية، أدرك الشريف غالب أن الوضع في المناطق الحدودية خرج عن سيطرته، وأن ميزان القوى بدأ يميل إلى صالح الدرعية. وفي ظل هذه الظروف وضعف الدولة العثمانية وعدم تمكنها من مساعدته رأى أنه لابد من التفاوض. وهكذا وجد الشريف غالب نفسه وحيدًا أمام هذه التحديات؛ لذا دخل في مفاوضات أدت إلى صلح سنة ١٢١٣هـ /١٧٩٨م، أو كما قال ابن بشر: "بعدها صالح عبدالعزيز، وبايعه، وأذن لهم في الحج"[٤]. وكان من أهم بنود ذلك الصلح: إيقاف الحرب، وتحديد القبائل التابعة لكل طرف، والسماح للسعوديين بالحج، وقد زاد المؤرخ اليمني لطف الله بن أحمد جحاف على ذلك شرطين

(٣) ابن غنام، ج٢، ص١٤٤-١٤٥، ١٤٧-١٥٠، ١٧٣-١٧٤، ومحمد بن عمر الفاخري، تاريخ الفاخري. دراسة وتحقيق وتعليق عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ص١٥٣، وابن بشر، ج١، ص١٧٠-١٧٢، ٢١١-٢١٤.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٢٤٤.

آخـرين، وهمـا: السمـاح بأداء العـمـرة، وإتاوة سنوية تؤدى للشريف غالب[٥].

كـان السـعـوديون تواقين إلى الحج، ولذا فلم يضـيـعـوا الفـرصـة، وبادروا إلى الحج في العـام نفسـه الذي تم فـيـه الصلح. وخلال سنوات الصلح الثلاث شهدت الدولة السعودية توسعًا، ومدت نفوذها في مناطق جديدة، مثل: عسير وبعض جهات عمان على سواحل الخليج العربي. وقد داوم السعوديون خلال فترة الصلح على الحج بأعداد كبيرة؛ فقد وصف ابن بشـر الحـجـة الأولى للأمـيـر سـعـود بن عـبـدالعـزيز سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩م بقوله: "وأجمل معه غالب أهل نجد..."[٦]. وبذل السعوديون الكثير من الوقت والجهد لنشر دعوتهم في موسم الحج، وقد أحرزوا نجاحات مهمة، كان من أبرزها لقاؤهم بالشيخ أحمد بن حسين الفلقي[٧] في ذلك الموسم،

(٥) ابن بشر، ج١، ٢٣٨-٢٤٠، ٢٤٢-٢٤٤، وعبدالله بن محمد بن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، مخطوطة مصورة عن نسخة طوب قبو سراي بتركيا (TOPKAPI SARAYI MU M.R. 511) نقلها عن الأصل مفتي زاده محمد سعيد الحسني، ومحفوظة في مكتبة الأمير سلمان بجامعة الملك سعود تحت رقم ١/٤٤، ص٢٤٢-٢٨٩، ولطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين ١١٨٩-١٢٢٤هـ / ١٧٧٥-١٨٠٩م، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٣٨٥-٣٨٧، ٤٠٣، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٦١-٢٦٨.

(٦) ابن بشر، ج١، ص٢٥٥.

(٧) ولد ونشأ بصبيا، واشتغل في شبابه بالتجارة، ثم رحل إلى الدرعية لطلب العلم، ثم عاد إلى بلده يحمل رسالة من الإمام عبدالعزيز بن محمد إلى أمراء المخلاف السليماني وأهله. قام بجهد كبير في نشر=

وإقناعه بالعمل الجاد على نشر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المخلاف السليماني[٨].

وبالرغم من الصلح إلا أن الشريف غالب لم يكن مرتاحًا لتلك الأنشطة السعودية، فقد كتب رسالة إلى الصدر الأعظم بعد موسم حج سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م، أشار فيها إلى أن السعوديين حجوا بأعداد كبيرة؛ الأمر الذي جعله يأمر جيشه بمرافقة الحجاج أثناء صعودهم إلى عرفات ومنها إلى مزدلفة فمنى. كما أشار في تلك الرسالة إلى أن الإمام عبدالعزيز بن محمد مستمر في غزواته، ولابد من "قلعه من الأساس لتوفير الراحة الكاملة لأهالي الحرمين الشريفين"، كما ذكر بأنه كان يبعث برسائل إلى البلدان والقرى الواقعة تحت سلطته يقول فيها: إنهم على حق، "ونستطيع التغلب على المشركين"[٩].

ونتيجةً لهذه التطورات، وما قابلها من ضعف في موقف الشريف غالب، تزايد خروج القبائل القريبة من مكة عن طاعته وانضمامها إلى الجانب السعودي. ولهذه الأسباب انتكس الصلح، ولكن الشريف غالب وجد نفسه مرةً أخرى

= دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في تلك المنطقة وإخضاعها لنفوذ الدولة السعودية الأولى حتى توفي حوالي سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م. وللمزيد من المعلومات، انظر: عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تكملة الحسن بن أحمد عاكش، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، دراسة وتحقيق وتعليق محمد بن أحمد العقيلي، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ، ص٦٨-٨٩، وهامش رقم ١، ص٨٣-٨٥.

(٨) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٧٤-٤٧٥.

(٩) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT. 4519-B، ويتضمن رسالة من الشريف غالب بن مساعد إلى الصدر الأعظم عام ١٢١٤هـ.

في موقف صعب، حيث لم تستجب الدولة العثمانية لطلباته المتكررة بإرسال مساعدة عسكرية في ذلك الوقت، حيث كانت منشغلةً باحتلال نابليون لمصر. وقد كان نابليون مهتمًا بأمر الشريف غالب، فبعد شهر من احتلاله القاهرة بعث برسالة إلى الشريف غالب يخبره فيها بدخوله مصر ويطمئنه بأنه سيقوم بحماية قافلة الحجاج والمحافظة على أوقاف الحرمين في مصر. رد الشريف غالب عليه برسالة وظفها نابليون ليظهر نفسه بمظهر الحريص على احترام الشعائر الدينية وأنه على علاقة طيبة مع شريف مكة؛ لذا أمر بطبع تلك الرسالة وتعليقها في الأماكن الرئيسة في القاهرة؛ لكي يطلع عليها الناس(١٠).

ومع أن الشريف غالب كان قلقًا من التوسع السعودي ويستنجد بالعثمانيين، إلا أنه - كما يرى بعض المؤرخين - لم يكن جادًا في طلب القوات العثمانية، بل كان معارضًا لقدومها إلى الحجاز خشية أن يعزل من منصبه؛ لذا فهو يطلب إمدادات عثمانية، ويأمل أن يتم القضاء على السعوديين عن طريق ولاية بغداد أو الشام(١١). وبعد أن

---

(١٠) للمزيد من المعلومات حول تلك المراسلات، انظر: محمد زكريا عناني، مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق، الدارة، العدد الثالث، السنة السادسة، جمادى الثانية ١٤٠١هـ، ص٧٣-١٠٠.

(١١) للمزيد من المعلومات، انظر: أحمد مرسي، شريف مكة بين قوتين، الدارة، العدد الثاني، السنة الأولى، جمادى الثانية، ١٣٩٥هـ، ص١٥٣، وأحمد مرسي، شريف مكة بين قوتين، الدارة، العدد الأول، السنة الثانية، ربيع الأول، ١٣٩٦هـ، ص١٧٢.

سُدت الطرق أمام الشريف غالب لم يبق له من وسيلة إلا طَرْق باب الدبلوماسية، ولذا أرسل وفدًا برئاسة عثمان بن عبدالرحمن المضايفي[١٢] إلى الدرعية للتفاوض حول تجديد الصلح. أجرى الوفد مفاوضات مع القادة السعوديين في الدرعية، ولكن رئيس الوفد، عثمان المضايفي، بالرغم مما كان يتمتع به من حظوة ومكانة كبيرة لدى الشريف غالب[١٣]، وجد هناك ما جعله يغير موقفه، وينضم إلى تلك

(١٢) هو عثمان بن عبدالرحمن المضايفي شيخ قبيلة عدوان التي تقطن بين مكة والطائف، وقد اعتاد أشراف مكة على إرسال أبنائهم إليها لتربيتهم. كان المضايفي يعمل في بلاط الشريف غالب بن مساعد، وقد توثقت العلاقة بينهما بالمصاهرة؛ فمن المصادر ما يذكر أن المضايفي تزوج أخت الشريف غالب، ومنها ما يذكر عكس ذلك. وللمزيد من المعلومات حول المضايفي وعلاقته بالشريف غالب، انظر: لطيفة بنت مطلق العدواني، عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ودوره في الدولة السعودية الأولى، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ، ص٨٨-٩٧، وبندر محمد علي العروي، ضم الحجاز في عهد الدولة السعودية الأولى (١٢١٧-١٢٢١هـ / ١٨٠٢-١٨٠٦م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ، ص١٠٧-١١٣، وإبراهيم بن محمد الزيد، عثمان بن عبدالرحمن المضايفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى، الطائف: لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، ط١، ١٤١٨هـ، ص١٧-٢٠.

(١٣) عن العلاقة بين الشريف غالب وعثمان المضايفي، انظر: لطيفة بنت مطلق العدواني، عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ودوره في الدولة السعودية الأولى، ص٩٨-١٠٤، وعبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، القاهرة: جامعة الدول العربية، ط٢، ١٩٧٥م، ص١٤٢-١٤٥، وإبراهيم بن محمد الزيد، عثمان بن عبدالرحمن المضايفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى، ص٢٠-٢١.

الدولة(١٤). والحقيقة أن انضمام عثمان المضايفي إلى الدرعية يعد نقطة تحول مهمة في تاريخ العلاقات بين الشريف غالب والسعوديين، وقد اختلفت المصادر حول أسباب ذلك، فمنها ما يرى أنه كان يطمح في الإمارة، ومنها ما يرى أن ذلك حصل بعد اقتناعه بالدعوة السلفية(١٥). وكما يبدو من سير الأحداث فإن عثمان المضايفي قد انضم إلى الدرعية عن اقتناع صادق بالدعوة السلفية، حيث ثبّت على صدقه وولائه حتى آخر المطاف، ولكن هذا في الوقت نفسه لا ينفي عنه الطموح إلى الإمارة، كما سنرى لاحقاً.

من ناحية أخرى اختلفت المصادر السعودية والشريفية حول تفاصيل مهمة المضايفي في الدرعية، فقد أورد ابن عبدالشكور خبر اللقاء، وقال: "فأول ما نطق عثمان قال: يا عبدالعزيز، بشرني بالأمارة، وأبشرك بمكة"، ثم طلب إخلاء المجلس وتحدثا في أمور بينهما، "وبايعه على دخول هذا الدين"(١٦). كما نقل

---

(١٤) لمناقشة أسباب خروج المضايفي على الشريف غالب، انظر: لطيفة بنت مطلق العدواني، عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ودوره في الدولة السعودية الأولى، ص١٠٥-١١٧، وإبراهيم بن محمد الزيد، عثمان بن عبدالرحمن المضايفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى، ص٢٢-٢٣.

(١٥) لطيفة بنت مطلق العدواني، عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ودوره في الدولة السعودية الأولى، ص١١٤، ١٢٣، وصالح بن حمد الصقري، العلاقات السياسية لأشراف مكة بنجد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي في الفترة من ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م وحتى سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٨-١٣٩٩هـ، ص٧٣-٧٤.

(١٦) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤١٣-٤١٥.

دحلان هذا الخبر برواية مشابهة، حيث قال: "فأول ما نطق به عثمان أن قال: يا عبدالعزيز، بشرني بالإمارة، وأبشرك بمكة...، وأطلب منك أن تخلي لي المجلس لأمور سأبديها، فاختلى معه، وحدثه بكلام طاب له، وأمره على الطائف وما حوله من العربان..."(١٧). وبالرغم من أهمية هذين المصدرين إلا أن تلك الرواية لا يمكن أن تصمد طويلاً أمام النقد التاريخي؛ إذ ليس من الحكمة ولا من الحصافة أن يفضي أي من الطرفين بما يكن صدره في أول لقاء وأمام محفل من الناس. وفي المقابل فإن المصادر السعودية - مع أنها أقرب إلى الحدث - اكتفت بذكر خبر قدوم عثمان المضايفي إلى الدرعية ومبايعته للإمام عبدالعزيز بن محمد، ولم تزد على ذلك(١٨).

ذهبت بعض المصادر إلى أن عثمان المضايفي كان على اتصال بالسعوديين منذ وقت مبكر؛ فقد ذكر المؤرخ اليمني لطف الله بن أحمد جحاف أن علاقة المضايفي بالسعوديين تعود إلى سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م، حيث زار الدرعية واستمالوه إلى جانبهم منذ ذلك الوقت المبكر(١٩). أما المؤرخ الفرنسي فيلكس مانجان فقد ذهب إلى أن عثمان المضايفي التقى الأمير سعود بن عبدالعزيز في موسم حج سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م، أو كما قال: "جاء لرؤيته متنكرًا تحت جنح الظلام...

---

(١٧) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧١.

(١٨) انظر: الفاخري، ص١٦٣، وابن بشر، ج١، ص٢٥٩.

(١٩) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٣٨٧، ٥١٦- ٥١٧.

وأخبره أنه لم يعد يرغب في البقاء تحت إمرة غالب، وأنه ينوي الانضمام إليه. أجابه سعود أن ذلك غير ممكن في الظروف الحالية"، وفي موسم حج العام التالي كرر عثمان المضايفي المحاولة حيث جاء متتكرًا لرؤية الأمير سعود بن عبدالعزيز، وقد كان مصممًا على الانقلاب على الشريف غالب، ولكن الأمير سعود طلب منه التريث إلى أن تحين الفرصة المناسبة[٢٠].

ونتيجةً لتلك التطورات وبعد عودة عثمان المضايفي إلى الحجاز اتخذ من بلدة العبيلاء[٢١] مركزًا له، وتفجر الخلاف بينه وبين الشريف غالب. كان السعوديون قد أمروا أتباعهم من القبائل الحدودية بالوقوف مع عثمان المضايفي، أما الشريف غالب فلم يقف مكتوف الأيدي تجاه تلك التطورات الخطيرة، بل قام بحشد قواته ومهاجمة المضايفي في العبيلاء، ولكنه لم يتمكن من اقتحامها. وبهذا تسارعت الأحداث بشكل كبير جعلت الشريف غالب يفقد السيطرة على الأمور في الحجاز مما مهد الطريق أمام السعوديين لدخول مكة.

وعلى النقيض من ذلك أظهر السعوديون براعة في إدارة الصراع مع الشريف غالب حيث تمكنوا من استثمار كل

---

(٢٠) فيلكس مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي، ترجمه وعلق عليه محمد خير البقاعي، دارة الملك عبدالعزيز،ط١، ١٤٢٤هـ، ص٣٠٧.

(٢١) تقع بلدة العبيلاء شرق الطائف أسفل "وادي ليه"، ويحدها من الشرق "جبل مروان"، انظر: عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ، ص٤٠.

المعطيات والتغيرات لصالحهم. ومع تفوق السعوديين عسكريًا، إلا أنهم لم يركنوا إلى ذلك فحسب، بل أردفوا ذلك بالسياسة ونشر دعوتهم بين أتباع الشريف غالب. ومن أمثلة تلك الجهود ما ذكرناه آنفًا من رواية جحاف حول علاقة المضايفي المبكرة مع الدرعية، وكذلك ما أورده دحلان في خبر زيارة المضايفي للدرعية سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م، حيث تمكن القادة السعوديون من إقناعه بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وزودوه برسائل لشيوخ القبائل الذين رأوا أنهم مهيأون للانضمام إلى الدعوة؛ مما يعني أنهم كانت لديهم قنوات اتصال مع تلك الأطراف. ونتيجة لذلك لم يتوجه المضايفي مع بقية الوفد إلى مكة، بل مكث في حصنه بالعبيلاء، "ونصب له بيرقًا، ودق الزير، وأظهر الإمارة، وأرسل بعض الكتب التي معه لبعض شيوخ القبائل القريبة منه؛ فأطاعوه"(٢٢).

بعد فشل الشريف غالب في اقتحام العبيلاء، أخذ السعوديون زمام المبادرة بقيادة المضايفي الذي جمع قواته مع القوات السعودية هناك، وزحف على الطائف، واستولى عليها بعد معارك عنيفة. وبينما كان الشريف غالب يقود قواته المدافعة عن الطائف سمع بمحاولة انقلاب ضده تزعمها أحد أفراد جيشه، وهو ابن أخيه، الشريف عبدالله بن سرور، أو كما قال ابن عبدالشكور في وصفه لتلك المحاولة: "جمع في هذه الليلة جميع الأشراف، وأرضعهم من لبان الخلاف، واتفق معهم أن يترك عمه في هذه الضنكة، ويتوجه بهم إلى

(٢٢) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٢، ولطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥١٧.

مكة، فوافقوه لما طلب"، كما وردت إليه في تلك الأثناء أخبار غير صحيحة تفيد "بأن الوهابيين[٢٣] متوجهون إلى مكة". وبالرغم من أن جحاف اختلف مع ابن عبدالشكور حول تفاصيل الأحداث، حيث ذكر أن سعود بن عبدالعزيز كان قائد القوات السعودية أثناء حصار الطائف، إلا أنه اتفق معه في قضية التضليل عندما قال: "خدعوه (أي الشريف غالب) بإظهارهم بعث المضايفي على مكة"[٢٤].

وحيال هذه التطورات الخطيرة أسرع الشريف غالب عائدًا إلى مكة تاركًا أخاه عبدالمعين في الطائف بما تبقى معه من قوات، ولكن السعوديين بالرغم مما واجههم من صعوبات في بداية الأمر - حتى إن بعض المصادر تحدثت عن انسحابهم وتركهم الحصار - تمكنوا من توظيف جميع المعطيات لصالحهم؛ مما سهل لهم اقتحام المدينة بعد أن انسحب منها عبدالمعين بقواته، وكان ذلك في شهر ذي القعدة من عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م[٢٥].

(٢٣) الوهابية والوهابيون والموهبة مصطلحات غير صحيحة أطلقها خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عليها، واستخدامها هنا عند الاقتباس من بعض المصادر يأتي من قبيل الالتزام بالأمانة العلمية، ولا يعبر عن رأي الباحث.

(٢٤) للمقارنة بين هاتين الروايتين، انظر: ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٢٨-٤٢٩، ولطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥١٧.

(٢٥) للمزيد من التفاصيل حول سقوط الطائف، انظر: ابن بشر، ج١، ص٢٥٩-٢٦٠، وابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٣٠-٤٣٨، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٣-٢٧٥، ولطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥١٨.

وللتعرف على أوجه الحكم السعودي كافة في مكة يرى الباحث أنه لابد من تقسيم الإدارة السعودية إلى أربعة جوانب، مع تسليمنا بصعوبة الفصل بين هذه الجوانب؛ نظرًا لما بينها من تداخل وتكامل، وهي: الإدارة السياسية، والإدارة الدينية، والإدارة الاجتماعية، والإدارة الاقتصادية.

**أولاً: الإدارة السياسية**

استطاع السعوديون دخول مكة المكرمة وحكمها مدتين بينهما انقطاع. وللتعرف على التغيرات التي مرت بها مكة خلال تلك الحقبة من تاريخها لابد من مناقشة: كيف دخل السعوديون مكة في المرة الأولى، ومن ثم استعادتها من قبل الشريف غالب بعد مدة قصيرة. وبعد ثلاث سنوات من الصراع عاد السعوديون مرةً أخرى ليحكموا مكة سبع سنوات؟ وهذه التطورات تدخل ضمن إدارة الحرب والصراع؛ ولذا فإنه سيتم مناقشتها ضمن الإدارة السياسية.

**(أ) الحكم السعودي الأول لمكة المكرمة (من ٨ المحرم حتى أواخر شهر ربيع الأول ١٢١٨هـ/١٨٠٣م):**

بدأ السعوديون يؤثرون في سير الأمور في مكة بشكل واضح بعد ضم الطائف الذي يعد بحق بوابة مكة من جهة الشرق، ولذا فإن سيطرة السعوديين عليها كان إنجازًا مهمًا في طريقهم إلى مكة. وقبل أن يتقدم السعوديون إلى مكة أرادوا إحكام سيطرتهم على الطائف؛ لكي تصبح قاعدة تجمع للقوات ومحطة تموين متقدمة في الطريق للسيطرة على كل الحجاز. اختلفت المصادر حول الوضع في الطائف بعد

ضمها، ولكن من المؤكد أن عثمان المضايفي تولى تصريف الأمور فيها، أو كما قال دحلان: "وبقي عثمان أميرًا على الطائف، وأرسلوا كتابًا إلى الأمير سعود بما صار في الطائف"(٢٦). أما ابن بشر فيذكر أن المضايفي أرسل نصيب الإمام عبدالعزيز بن محمد من الغنائم، "فقرر ولاية عثمان للطائف واستعمله أميرًا عليها وعلى الحجاز"، أو كما قال عند تعداده لأمراء المناطق في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد: "وعلى الحجاز وما يليه من النواحي عثمان بن عبدالرحمن المضايفي"(٢٧). وربما قصد ابن بشر بالحجاز هنا الطائف التي كان عثمان المضايفي أميرًا عليها، لأنه عندما توفي الإمام عبدالعزيز بن محمد لم يكن السعوديون قد تمكنوا من السيطرة على الحجاز. وعلى العكس من ذلك نرى أن جحاف مع أنه بعيد عن موضع الحدث ومصدر الخبر، إلا أنه كان أكثر تحديدًا حيث ذكر أن سعودًا قبل أن ينسحب إلى نجد "قلد عهد الطائف وإمارته عثمان المضايفي"(٢٨).

وبغض النظر عما في الروايات السابقة من اختلاف فإن السعوديين بعد ضمهم الطائف جمعوا قواتهم في تلك المناطق، وأسندوا قيادتها لسعود بن عبدالعزيز الذي أراد أن يكثف الضغط على الشريف غالب؛ لذا زحف على مكة ولكنه آثر التريث لبعض الوقت منتظرًا انقضاء موسم الحج،

---

(٢٦) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٢٧٥، ٢٧٨، وانظر: ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٣٩.

(٢٧) ابن بشر، ج١، ص٢٦٠.

(٢٨) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥١٨-٥١٩.

فعسكر بقواته في السيل الكبير[٢٩]. من ناحيته حاول الشريف غالب التصدي لهذا التهديد، وذلك باستثارة همم أهل مكة لمحاربة الجيش السعودي أو كما قال دحلان بأسلوبه التهجمي: "أن يخرج الناس للجهاد ومدافعة أهل البغي والإلحاد"[٣٠]، كما حاول الاستفادة من القوات المصاحبة لأميري الحج المصري والشامي، ولكنه لم ينجح في أي من تلك المساعي[٣١].

وأمام هذه التطورات انسحب الشريف غالب إلى جدة تاركًا أخاه عبدالمعين وحيدًا، ليتولى تصريف أمور مكة التي حصل فيها اضطراب كبير. والحقيقة أن المرء ليحتار حول سبب ترك غالب لأخيه عبدالمعين في مكة لو كان متيقنًا فعلاً بأن الخطر داهم تلك المدينة، ولكن يبدو أن الأمر لم يكن كذلك. كما أن المصادر قد اختلفت حول صفة وجود عبدالمعين في مكة وعن الوضع العام في تلك المدينة بعد خروج غالب، فابن عبدالشكور مثلاً وصفه بالفوضى حيث قال: "وبقيت البلاد بلا حاكم ولا وزير ولا أمير ولا مشير"[٣٢]. ولكن مما يبدو في حكم المؤكد، كما يتضح من سياق الأحداث، أن الشريف غالب رأى أنه من الحكمة ترك مكة المكرمة في عهدة أخيه عبدالمعين الذي كان يثق به

---

(٢٩) السيل الكبير يبعد عن مكة شرقًا حوالي ثمانين كيلاً، يعرف بقرن المنازل وهو ميقات أهل نجد.

(٣٠) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٥.

(٣١) نفسه، ص٢٧٥-٢٧٦.

(٣٢) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٤٥.

كثيرًا(٣٣)، لعل وعسى أن يظهر السعوديون ليونةً في موقفهم وتحل المشكلة عن طريق التفاوض. وفي الوقت ذاته ذهب إلى جدة ليعزز دفاعاتها كحصن منيع يسهم في الدفاع عن مكة فيما لو تطورت الأمور إلى ذلك الحد.

وهكذا أصبح الشريف عبدالمعين المسؤول الأول عن إدارة مكة، فأرسل مندوبًا إلى سعود بن عبدالعزيز يطلب الأمان لأهل مكة ويعرض عليه: "أن يكون عامله فيها بإمارته"(٣٤)، كما ندب أهل مكة للغرض نفسه وفدًا مكونًا من أربعة علماء. وبعد التفاوض مع سعود بن عبدالعزيز في السيل الكبير، حصل الوفد على ما سمّته المصادر بكتاب الأمان، ونظرًا لأهميته نورده بنصه: "بسم الله الرحمن الرحيم من سعود بن عبدالعزيز إلى كافة أهل مكة والأغوات والعلماء(٣٥) وقاضي السلطان، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فأنتم جيران الله وسكان حرمه، آمنون بأمنه، إنما ندعوكم لدين الله ورسوله ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن**

(٣٣) كان عبد المعين بن مساعد قد تولى شرافة مكة بعد وفاة أخيه سرور ومكث بها أيامًا عدة قبل أن يتنازل لأخيه غالب. وبالرغم من ذلك فقد بقي الاثنان على علاقة قوية وثقة كبيرة كما يتضح مما ذكرنا من مواقف أو ما سيرد لاحقًا، انظر: أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٢٥، وأحمد السباعي، تاريخ مكة، الجزء الثاني، ص٥١١.

(٣٤) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٤٦.

(٣٥) وردت عند دحلان "والعلماء والأغوات" انظر: أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٧، ووردت عند السباعي "العلماء والأغوات"، انظر: أحمد السباعي، تاريخ مكة، الجزء الثاني، ص٥٦٢.

تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٣٦]، فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبدالعزيز، وأميركم عبدالمعين بن مساعد، فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله، والسلام"[٣٧].

عاد الوفد إلى مكة يحمل كتاب الأمان الذي خُط في ورقة صغيرة لا تزيد في حجمها عن الخمسة أصابع حيث قرأه السيد حسين مفتي المالكية في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة في اليوم السابع من شهر المحرم سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م. بالإضافة إلى الأمان لساكني مكة فقد اشتمل كتاب الأمان على تعيين عبدالمعين بن مساعد أميرًا على مكة، وكان ذلك مما مهد الطريق لقدوم سعود بن عبدالعزيز على رأس جيشه في منتصف نهار يوم السبت الثامن من المحرم حيث دخلوا مكة بلباس الإحرام مهللين ومكبرين بالعمرة[٣٨]. ومما لا شك فيه أن دخول السعوديين

(٣٦) سورة آل عمران، آية ٦٤.

(٣٧) انظر: ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٤٨-٤٤٩، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٧، وأحمد جودت باشا، تاريخ جودت، إستانبول: ط٢، المطبعة العثمانية، ١٣٠٩هـ، ج٧، الملحق ١٨، ص٣٦٥.

(٣٨) هناك اختلاف بين المصادر حول تاريخ دخول السعوديين مكة فقد أورد ابن بشر ذلك خطأ، وقال إنه كان في سنة ١٢١٧هـ. انظر: ابن بشر، ج١، ص٢٦٣، من ناحية أخرى ذكر الأمير سعود بن عبدالعزيز في رسالته إلى السلطان العثماني أن القوات السعودية دخلت مكة في اليوم الرابع من المحرم، انظر نص الرسالة في: خيرالدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٥م، ج١، ص٣٨. أما التاريخ الصحيح - حسب رأي الباحث - فهو اليوم الثامن من المحرم سنة ١٢١٨هـ، وهو ما ذكره الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الذي كان مع الجيش السعودي يوم =

مكة بتلك الطريقة يعد مكسبًا سياسيًا ودينيًا مهمًا لا يقارن بأي من المكاسب السابقة التي حققتها الدولة السعودية خلال العقود السابقة من توسعها، ولذا لم يضع سعود بن عبدالعزيز كثيرًا من الوقت حيث بدأ مباشرةً بوضع الخطوط العامة لإدارة مكة.

كان سعود بن عبدالعزيز قد توصل إلى حل أو تفاهم أثناء مفاوضات السيل الكبير حول أهم عنصر في إدارة مكة عندما أسند أو وافق على بقاء الإمارة بيد الشريف عبدالمعين كما ورد في كتاب الأمان. ومن المؤكد أن معاهدة (أو تفاهم) السيل تعد مكسبًا للشريف عبدالمعين مثلما هي مكسب للشريف غالب الذي لم يستطع الصمود في وجه الجيش السعودي. لكن مما يلحظ على تلك المعاهدة أنها كانت عامة ومختصرة جدًا، حيث لم توضح التنازلات التي قدمها الشريف عبدالمعين، ولا المزايا التي سيحصل عليها السعوديون في مقابل ذلك، مثلما أنها لم تبين صلاحيات الشريف

= دخول مكة، انظر: رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حول دخول مكة، مخطوطة مصورة عن مكتبة الرياض السعودية، رقم ٨٦/٥٢٠ والتي انتقلت مخطوطاتها إلى مكتبة الملك فهد الوطنية، ص١، وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر: ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٤٥-٤٤٩، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٦-٢٧٧. أما لطف الله جحاف فقد روى هذه الأحداث مع بعض الاختلافات، وقد جانب الصواب في بعض الأمور، حيث ذكر أن سعود استولى على مكة عنوةً وعين عبدالمعين أميرا عليها بعد أن استقرت له الأمور فيها، انظر: لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥٢٨-٥٢٩، ولكن لابد من القول أن المصادر السابقة أكثر دقة بحكم قرب رواتها من مصدر الخبر.

عبدالمعين في مكة، أو بمعنى آخر أين تقف سلطته وتبدأ سلطة الدولة الجديدة، وكيفية التنسيق بين الطرفين؟

قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بكثير من الترتيبات الإدارية (سنناقشها لاحقًا) أثناء إقامته التي لم تطل بمكة، حيث مكث بها لمدة إسبوعين، ثم غادرها يوم الجمعة ٢٢ المحرم ١٢١٨هـ/١٨٠٣م. ومع أن الإمارة كانت بيد الشريف عبدالمعين بن مساعد كما تم الاتفاق عليه في كتاب الأمان الذي أشرنا إليه آنفًا، إلا أن سعود بن عبدالعزيز أراد أن يذكره بالسلطة الجديدة وقوتها، ولذا رتب حامية صغيرة بقيادة فهاد بن سالم بن شكبان للمرابطة في مكة[٣٩].

**قام سعود بن عبدالعزيز بكثير من الترتيبات الإدارية أثناء إقامته بمكة**

وبالرغم من سيطرة الأمير سعود بن عبدالعزيز على مكة، إلا أنه رأى أن الحكم السعودي لا يمكن أن يستقر بها ما لم يتمكن من السيطرة على كل الحجاز. لذا قام بتعزيز سيطرته على بعض القبائل القاطنة في أطراف مكة، كما أرسل علي بن عبدالرحمن المضايفي إلى أهل جدة يطلب منهم الدخول

(٣٩) ورد الاسم عند ابن عبدالشكور "فهيد"، ولكن الصواب هو "فهاد". من ناحية أخرى ذكر ابن بشر أن ترتيب الحامية تم بعد عودة سعود بن عبدالعزيز من حملته على جدة، ولكن يبدو أن ما أوردناه من رواية ابن عبدالشكور أقرب إلى الصواب، لأنه ليس من الحكمة أن يغادر سعود مكة من دون أن يترك بها قوة تمثله. هذا بالإضافة إلى أن ابن عبدالشكور كان في مكة في تلك الفترة ومعايش للأحداث، للمقارنة بين هذه الروايات انظر: ابن بشر، ج١، ص٢٦٣، ٢٨٦-٢٨٧، وابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٧، ٤٦٠.

في طاعته، وعندما لم يحصل ذلك توجه سعود بن عبدالعزيز على رأس جيشه إلى هناك، وحاول اقتحام المدينة، ولكنها كانت محصنة بشكل جيد ومزودة بالمدافع، حيث لقي بها مقاومة عنيفة اضطرته إلى فك الحصار الذي لم يستمر أكثر من ثمانية أيام. ومن المستغرب أن سعود بن عبدالعزيز لم يمر بمكة في طريق عودته إلى الدرعية، بل اكتفى بالمرور بوادي مر[٤٠]، وعين إبراهيم بن سليمان البركاتي أميرًا عليها[٤١]. ومما لا شك فيه أن سعود بن عبدالعزيز يعرف جيدًا حجم الأخطار التي ما زالت تحدق بإتمام السيطرة في الحجاز بشكل عام وفي مكة بشكل خاص، ولكن لابد أن أمورًا ملحة جعلته يغادر المنطقة على وجه السرعة قبل أن يثبت أركان حكمه هناك.

نتيجةً لمغادرة الأمير سعود بن عبدالعزيز إلى نجد ارتفعت معنويات الشريف غالب وتحسن موقفه في الحجاز بعد صموده في معركة جدة، ولهذا استغل الفراغ الذي حصل بعودة جيش سعود إلى نجد، وانطلق مسرعًا إلى وادي مر، وطرد أميرها، وأعاد سيطرته عليها. في هذه الأثناء قدمت قوات سعودية جديدة بقيادة عبدالوهاب أبو نقطة الذي توجه إلى جدة ولكنه لم يتمكن من اقتحامها، فيمم صوب مكة

(٤٠) وادي مر بلدة تقع إلى الشمال من مكة المكرمة على بعد ٢٤ كيلاً، وتعرف في هذه الأيام بوادي فاطمة، انظر: عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٨، ص١٠٠-١٠٢.

(٤١) انظر: ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٩-٤٦٢، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٩، لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥٢٩.

والتقى أميرها عبدالمعين، وقبل أن يرحل ترك حامية من رجاله قوامها أربع مئة رجل اتخذت من بستان الشريف غالب في المعابدة مقرًا لها(٤٢).

**(ب) عودة الشريف غالب بن مساعد إلى مكة:**

اكتفى السعوديون بما تم من ترتيبات إدارية في مكة المكرمة في إطار الترتيبات السياسية مع الشريف عبدالمعين. كان الشريف غالب يتابع تلك التطورات عن كثب، وقد تشجع بعد صموده في جدة مرتين أمام السعوديين: إحداهما أمام جيش سعود بن عبدالعزيز، والأخرى أمام جيش عبدالوهاب أبو نقطة، ومن ثم استرداده لوادي مر. كل هذا أدى إلى استعادته ثقته وبعضًا من مكانته السابقة ونفوذه السياسي بين قبائل وأهالي المنطقة. بالإضافة إلى ذلك فقد أمده سلطان مسقط سلطان بن أحمد بمساعدة عسكرية عن طريق البحر، ومن بينها مدفع كبير كان له دور بارز في استعادة مكة(٤٣).

وفي ظل هذه المعطيات تحرك الشريف غالب يوم ٢٢ ربيع الأول ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م بجيشه إلى مكة مصحوبًا بقوات عثمانية يقودها والي جدة العثماني، محمد شريف باشا. لم

(٤٢) للمزيد من التفاصيل، انظر: ابن بشر، ج١، ص٢٦٣، وابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٩-٤٦٦، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٤٣) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص ٤٦٨، وبندر محمد العروي، ضم الحجاز في عهد الدولة السعودية الأولى، ص١٢٨.

يجد الشريف غالب مقاومة تذكر حيث دخل مكة بسهولة وتواطؤ واضح مع أخيه عبدالمعين، أو كما قال دحلان: "ولم ينازعه الشريف عبدالمعين"؛ مما يعني انهيار كامل الترتيبات الإدارية السعودية. ويبدو أن موضوع التنسيق والتفاهم بين الشريف غالب وأخيه عبدالمعين لم يكن سرًا، بل كان أمرًا شائعًا بين كثير من أهل الحجاز كما يتضح ذلك من رسالة مؤرخة في ٢٦ ربيع الأول سنة ١٢١٨هـ(٤٤)، أرسلها أحد سكان المدينة المنورة إلى ابنه في الشام، تطرق في تلك الرسالة إلى بعض الأمور الأسرية ثم عرج على أحداث الساعة - وهو ما يهمنا في هذا المقام - حيث تحدث عن إطاعة بعض القبائل للشريف غالب، وأنه ينسق مع والي جدة للتوجه إلى مكة. أما عن الوضع في مكة فقال: "ومكة أميره (أي أميرها) عبدالمعين، وبه يجي ميتين رجال (أي أن بها ما يقارب المئتي رجل) باالقلعة (أي في القلعة) من تباع (أي من أتباع) سعود، وهم انشاء (إن شاء) الله غنيمة للمسلمين (يقصد أتباع الشريف غالب)، وعبدالمعين يرسل لغالب عطن روحك (أي أقبل)، ولا تعده إلا سار (أي واعتبر الأمر منتهيًا)"(٤٥).

---

(٤٤) هذه الرسالة كتبت أثناء تحرك الشريف غالب إلى مكة، ولكن كما هو واضح فإن تلك الأخبار لم تصل بعد إلى المدينة المنورة.

(٤٥) الأرشيف العثماني، تصنيف .HAT 3777-D، ويتضمن رسالة من إبراهيم بن محمد الصويغ إلى ابنه حمد عام ١٢١٨هـ. وكما هو واضح من الأسلوب فإن هذه الرسالة كتبت بلهجة نجدية، ويبدو أن كاتبها من تجار العقيلات المنتشرين ما بين الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر وغيرها من البلدان.

نزل الشريف غالب بعد وصوله إلى مكة في قصره بالمعابدة، ثم ركز هجومه على ما تبقى من رمز للسيادة السعودية؛ حيث ضرب حصارًا على الحاميتين السعوديتين اللتين قاومتا لبعض الوقت قبل أن تهرب إحداهما؛ مما جعل الأخرى تطلب الأمان والخروج بعد (٢٥) يومًا[٤٦].

وهكذا عاد الشريف غالب إلى الحكم في مكة بعد انقطاع لم يدم أكثر من ثلاثة أشهر. لم تسعفنا المصادر التاريخية بما اتخذه الشريف غالب من إجراءات بعد عودته إلى مكة، ولكن مما يبدو في حكم المؤكد أنه ألغى كل الترتيبات الإدارية السعودية، وأعاد الأمور إلى ما كانت عليه من قبل. وللتأسيس على هذه الإنجازات تحرك الشريف غالب لاستعادة سيطرته على الطائف وعلى بعض المدن الساحلية، مثل: ينبع والليث، وكذلك على قبائل المنطقة، ولكن نجاحه كان محدودًا جدًا؛ نظرًا لأن السعوديين ما زالوا في المنطقة، ويدعمون حلفاءهم ويتوسعون في شمال الحجاز وجنوبه. أخذت القوات السعودية تنهج نهجًا مشابهًا لنهجها الأول من حيث إخضاع القبائل الحجازية وحصار مكة، إلا أنهم في هذه المرة كانوا أكثر جرأة في تحركاتهم عندما قاموا بشن بعض الهجمات على جدة حتى قبل دخول مكة. ومع وجود السعوديين قرب مكة إلا أن الشريف غالب لم يخرج منها مثلما فعل في المرة السابقة، بل

---

(٤٦) للمزيد من التفاصيل، انظر: ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٦-٤٧١، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٨٠-٢٨١، ولطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥٢٩-٥٣٠.

اختار الدفاع عن عاصمته. وأمام هذا الموقف الصلب ازداد الضغط السعودي من الجوانب كافة وبشتى الوسائل العسكرية والاقتصادية.

**(ج) الحكم السعودي الثاني لمكة المكرمة (١٢٢١-١٢٢٧هـ/١٨٠٦-١٨١٢م):**

كثف السعوديون ضغطهم على الشريف غالب في العامين ١٢١٩ و١٢٢٠هـ، وشعر سكان مكة على اختلاف أطيافهم بشدة وطأته؛ نظرًا لما صاحبه من انتشار القحط في تلك الفترة. وفي أواخر عام ١٢٢٠هـ قرر السعوديون حسم الأمر، ووضعوا تحت تصرف عثمان المضايفي جيشًا قوامه نحو ثلاثين ألف مقاتل؛ مما جعله يحكم الحصار حول مكة؛ فقلّت المؤن، وغلت الأسعار حتى اضطر كثير من الناس إلى مغادرتها أو كما قال ابن عبدالشكور: "وعلى كل حال فقد ظهر الخلل في الأمكنة والأسواق، وخفت الخلايق من كل زقاق"، وحصلت وحشة بالبلد حتى قيل: إن عدد المصلين في المسجد الحرام لا يكاد يبلغ صفًا واحدًا(٤٧).

فصّل ابن عبدالشكور معضلة الشريف غالب متهمًا بعض الأشراف بخيانته والتراسل مع المضايفي، كما اتهمهم بإغراء بعض رؤساء العبيد، الأمناء على القلعة المطلة على سفح جبل أجياد، بالخروج عليه، وحين علم بتلك التطورات حاول

(٤٧) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص ٥٢٩، وللمزيد من التفاصيل، انظر الصفحات: ٥٧٠-٥٧٢، وكذلك لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥٦٧، ٥٧٣-٥٧٤، ٦١٢، ٦٢٦، ٦٣٠.

تدارك الأمر، فأمر بسجن ابني أخويه السيد مساعد بن مسعود والسيد أحمد بن سرور وقتل رؤساء العبيد، وعندما علم يحيى بن سرور ما حل بشركائه هرب إلى وادي مر[٤٨]. وهكذا وجد الشريف غالب نفسه عاجزًا عن مواجهة السعوديين الذين ازداد ضغطهم حتى إن بعض قادة قواته من الأشراف والعبيد استسلم لهم، ولذا قرر التفاوض. وبناءً على ذلك قدم في يوم ١٦ من ذي القعدة وفد سعودي برئاسة الشيخ عبدالرحمن بن نامي[٤٩] من الحسينية[٥٠]، حيث يعسكر الجيش السعودي، وأجرى بعض المفاوضات مع الشريف غالب، ثم عاد إلى الحسينية. والحقيقة أننا لا ندري على أي أساس تم اختياره لقيادة المفاوضات، حيث لم يرد له ذكر من قبل في إطار المفاوضات مع الشريف غالب، ولكن كما هو واضح فقد كان ملازمًا للجيش؛ ولذا تم إيفاده في تلك المهمة المستعجلة. واصل ابن نامي مهمته؛ ففي يوم ٢٠ من الشهر نفسه ذهب إلى مكة وحيدًا؛ لإكمال المفاوضات مع

(٤٨) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٠٧-٥١١.

(٤٩) ولد الشيخ عبدالرحمن بن نامي في العيينة، وكان ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فهاجر إلى الدرعية وقرأ على الشيخ محمد وعلى ابنه عبدالله. عمل قاضيًا في العيينة ثم نُقل إلى قضاء الأحساء وكان من ضمن من قُتل هناك بعد سقوط الدولة السعودية الأولى. انظر: عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الرياض: مكتبة دار العاصمة، ط١، ١٤١٩ هـ، ج٣، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٥٠) الحسينية عين ماء تقع جنوب منى على بعد ١٢ كيلاً، وبجوارها قرية بالاسم نفسه، انظر: عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ص١٣-١٤.

الشريف غالب، حيث اتفق الطرفان على الصلح والسماح للسعوديين بالحج(٥١). وقد كان الشريف غالب حذرًا في تعامله مع قادة الجيش، فهو لا يريد أن يلتزم تجاههم بشيء نهائي، وكأنه يريد مفاوضة الند للند، وتجنب التفاوض مع المضايفي، لذا أصر على التعامل مع قمة القيادة السعودية في الدرعية، أو كما قال جحاف: "ولم يعط غالب أبا نقطة ولا غيره عهدًا، بل جعل ذلك إلى سعود"(٥٢).

كان من النتائج المباشرة لصلح ابن نامي أن فُك الحصار، فمشت السوابل والقوافل إلى مكة، ورخصت الأسعار فيها، وعاد بعض من أهلها إليها. بالإضافة إلى ذلك فقد كان من شروط ذلك الصلح السماح للجيش السعودي بأداء مناسك الحج، ولذا دخلوا مكة واعتمروا وحجوا، وزار عبدالوهاب أبو نقطة الشريف غالب، وتبادل معه الهدايا(٥٣). وبالرغم من أن كل المعطيات العسكرية تؤكد رجحان كفة السعوديين في صراعهم مع الشريف غالب، إلا أن المفاوضات السياسية لم تعكس ذلك، حيث لم تتمخض عن معاهدة تظهر ذلك التفوق، ومن ثم بسط السيادة على مكة.

---

(٥١) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٧٣-٥٧٤.

(٥٢) من المعروف أن المضايفي كان قائد الجيش السعودي، وربما أن ما قصده جحاف هنا هو قادة الجيش السعودي، انظر: لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٦٣٠.

(٥٣) للمزيد من المعلومات، انظر: ابن بشر، ج١، ص٢٨٣-٢٨٦، وابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٦٩-٥٧٩، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٨٩-٢٩٢.

غادر الجيش السعودي مكة بعد انقضاء موسم الحج، ولم يبق للسعوديين أثر في مكة، ولذا يمكننا القول: إن مفاوضات ابن نامي لم تنتج صلحًا بقدر ما أنتجت هدنةً أعطت لكل طرف فسحةً من الوقت لمراجعة موقفه وبعضًا مما كان يطالب به، وعُلقت الأمور باستكمال المفاوضات مع الدرعية. وقد أشار ابن عبدالشكور إلى ما يؤيد ذلك عندما قال: "على أن الكل منهم يرسل كتابًا لسعود، ويخبره بالمقصود، وينتظر جوابه حتى يعود". كما أورد ابن بشر الخبر برواية مشابهة، حيث قال: "وطلب منهم الصلح على مواجهة سعود (أي مقابلته) ومبايعته على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، فصالحوه وأمهلوه"(٥٤).

من ناحيته لم يطمئن الشريف غالب إلى وضعه في مكة، فخرج إلى جدة حيث وصلها في مستهل شهر صفر واستقر هناك، ثم بدأ ينهى الناس عن شرب الدخان بالأسواق، وأمر بمنع بيعه في الدكاكين بتاتًا، ولعله بذلك أراد أن يهيئ الناس لما هو آت. قام الشريف غالب بهذه الإجراءات "مكره أخاك لا بطل"، أو كما قال جحاف: "وكان غالب قد أرسل إلى أهل جدة أن اسمعوا وأطيعوا ظاهرًا، واحذروا أن يظهر بخاناتكم آلات التنباك"(٥٥).

---

(٥٤) ابن بشر، ج١، ص٢٨٥، وابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٧٥، وكذلك انظر: محمد بن عمر الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٦٥-١٦٦.

(٥٥) انفرد جحاف بذكر معلومة مهمة، وهي أن غالب خشي من تسلط عثمان المضايفي، فطلب من عبدالوهاب أبو نقطة أن يزوجه ابنته فأجابه إلى ذلك، للمزيد من المعلومات، انظر: لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٦٤٠.

ومما يلحظ هنا أن الإمام سعود بن عبدالعزيز لم يعهد إلى ابن نامي بإكمال ما بدأه من مفاوضات، بل ندب لتلك المهمة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر(٥٦)، صاحب الخبرة التفاوضية مع الشريف غالب، وهذا لا يمنع بلا شك من أن يكون ابن نامي ضمن أعضاء الوفد حتى وإن لم تذكره المصادر التي لم تذكر سوى رئيس الوفد. استكمالاً لمفاوضات ابن نامي جاء من الدرعية في أواخر الشهر نفسه وفد مكون من عشرين رجلاً برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وعندما لم يجدوا الشريف غالب في مكة توجهوا إلى جدة حيث جرت المفاوضات، وتم عقد الصلح بين الطرفين(٥٧)، وبهذا يعد مستهل عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م بداية الحكم السعودي الثاني لمكة المكرمة.

والحقيقة أن الباحث ليتساءل عندما ينظر إلى تلك المدة الطويلة التي تفصل بين خروج السعوديين من مكة ثم عودتهم إليها. إذ تمكن السعوديون في المرة الأولى من حسم الوضع

---

(٥٦) هو الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، ولد في العيينة، وتعلم بها، ثم سافر إلى الدرعية ولازم الشيخ محمد بن عبدالوهاب. عمل في التدريس والقضاء في تلك المدينة، وفي سنة ١٢١١هـ بعثه الإمام عبدالعزيز بن محمد على رأس وفد لمناظرة علماء مكة. أقام ابن معمر بعد ذلك بمكة وعمل في قضائها حتى توفي سنة ١٢٢٥هـ، وللمزيد من المعلومات، انظر: ابن بشر، ج١، ص٣١٦-٣١٧، وعبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج٢، ص١٢١-١٢٨.

(٥٧) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٨٦-٥٨٧، وابن بشر، ج١، ص٢٨٧، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٩٢.

لصالحهم بعد أقل من عام على انتكاسة الصلح سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، أما في المرة الثانية فقد استنفد السعوديون الكثير من وقتهم وجهدهم فترة ثلاث سنوات قبل أن يتمكنوا من العودة إلى حكم مكة، وهذا أمر مستغرب خاصةً إذا أخذنا في الحسبان ميزان القوى عند كلا الطرفين. كانت كل المؤشرات تدل على تنامي قوة السعوديين سياسيًا وعسكريًا حيث وصلت دولتهم إلى ذروة مجدها وقوتها، في حين أن قوة الشريف غالب آخذة في الأفول والدولة العثمانية منشغلة بمشاكلها، وليس في إمكانها تقديم العون له. قد نجد ما يفسر هذا التساؤل في رسالة بعثها الشريف غالب إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز في أواخر سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، حيث تقدم في تلك الرسالة بعروض سخية ربما تفسر أسباب تريث السعوديين في الحسم العسكري. عرض الشريف غالب على الإمام سعود بن عبدالعزيز عروضًا عدة يمكن تلخيصها في الآتي:

١ - الشكوى من عثمان المضايفي ومحاولة التفريق بينه وبين الإمام سعود بن عبدالعزيز، أو كما قال: "وأغلب الظن والقياس أنك والحاضرون من كبار المسلمين عندنا يكره أحواله المذمومة، لأن مراده تنفير خاطرنا، أما أنا يا أخي فالله يعلم ويشهد أنني شعرت بلذة الموافقة، وقد شرح الله قلبي"(٥٨).

(٥٨) الأصل العربي لهذه الوثيقة مفقود، ولذا تم الاعتماد على ترجمتها العثمانية المحفوظة في الأرشيف العثماني تصنيف HAT 94/ 3830، وتوجد نسخة منها في دارة الملك عبدالعزيز تحت رقم: ٢/٢-١٦ تركي - مجموعة شريف مكة - ١٢٢٠هـ. ويلحظ أن تاريخ الوثيقة غير موجود على أصلها، وقد وضع لها موظفو الأرشيف العثماني تاريخًا هو ٢٩ ذي الحجة من عام ١٢١٨هـ. للمزيد من المعلومات، =

٢ - عرض الشريف غالب نفسه بديلاً عن عثمان المضايفي حيث ذكر في أكثر من موضع من الرسالة: "فاتخذني رمحًا على الأعداء...، وإذا أبقيتني على إمارة مكة والطائف وجدة والحجاز وحرب وجهينة وسائر البنادر في جهات الحجاز التي تحت حكمي منذ القديم وكذلك القبائل المعروفة بأنها تحت حكمي"(٥٩).

٣ - عرض الشريف غالب على الإمام سعود بن عبدالعزيز عرضًا طموحًا إذا وافق على إبقائه في الإمارة، حيث ذكر أنه بعد أن يرتب أموره في الحجاز سيشن حربًا باسم الإمام سعود في جهات مصر والشام واليمن، ثم يضيف مخاطبًا الإمام سعود بن عبدالعزيز: "ولكن اشرط لي على نفسك أنه إذا فتح الله على يدي مع المسلمين أي قرية، فإنني سأقوم بإصلاح أمورها، وتكون مرتبطة بي نيابة عنك، ولا أريد سوى الخدمة"(٦٠).

٤ - التودد ومحاولة إثبات الولاء والسمع والطاعة للإمام سعود بن عبدالعزيز، حيث يقول: "واعتبرني ولدًا صالحًا لك، وقد سبق أن جربتني عدوًا فجربني بعد الآن صديقًا... فإذا ظهر أي عجز في تسيير الأمور التي ذكرتها، فإن ورقة واحدة منك تؤخرني، وأخرى تقدمني"(٦١).

= انظر: أحمد مرسي، شريف مكة بين قوتين، الدارة، العدد الثاني، السنة الأولى، ص١٥٦-١٥٩، وأحمد مرسي، شريف مكة بين قوتين، الدارة، العدد الأول، السنة الثانية، ص١٦٩-١٧٠. وانظر ملحق رقم (٢).

(٥٩) الوثيقة نفسها.

(٦٠) الوثيقة نفسها.

(٦١) الوثيقة نفسها.

٥ - محاولة دغدغة العواطف الدينية عند قوله: "وأريد أن أقدم الإحسان بدل الإساءة التي ظهرت مني سابقًا، ونوال رضا الله بنية خالصة، وفي حال إيجاد عمل لعثمان لديك فإن ما أقصده في ضميري هو توسيع الإسلام وتهديم الأصنام"(٦٢). وهنا يكرر الشريف غالب ما بدأ به الرسالة حول أن عثمان المضايفي هو أساس الخلاف، ولكنه لم ينس أن يقترح إبعاده عن الحجاز بتوليته أي منصب آخر في الدولة، وذلك من أجل أن ينصرف الشريف غالب لما هو أهم - حسب زعمه - وهو خدمة أهداف الدولة السعودية.

يدرك الشريف غالب جيدًا أن السعوديين ما زالت قواتهم تحيط بمكة، ولذا فلربما كان من الحصافة السياسية مدّ يد الصداقة والتبعية للإمام سعود بن عبدالعزيز. بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الرسالة لن تكون الوحيدة حول هذا الموضوع، فلابد أن سلسلة من المراسلات تم تبادلها بين الطرفين. ومن المؤكد أنه عند اكتشافها، وخاصةً تلك التي تمثل الجانب السعودي، ستوضح لنا بعض الجوانب الغامضة من تاريخ تلك الفترة. ويبقى السؤال: هل كان الشريف غالب جادًا في تلك العروض أم أنه يهدف من وراء ذلك إلى البحث عن فسحة من الوقت لعل وعسى أن تتغير الأحوال، ويتمكن العثمانيون من إمداده بالمساعدات في الوقت الذي يحاول تقريب نفسه من السعوديين؛ الأمر الذي جعلهم يتأخرون في حسم

(٦٢) الوثيقة نفسها.

الصراع، ومن ثم التفاوض مع الشريف غالب وإبقائه أميرًا على مكة؟

من ناحية أخرى فمما لا شك فيه أن عروض الشريف غالب البراقة لا يمكن أن تنطلي على مجرب للسياسة وأقاويلها، مثل: الإمام سعود بن عبدالعزيز الذي استثمر فرصة توظيف رسالة الشريف غالب لخدمة مصالحه السياسية. بعد أن تسلم تلك الرسالة كتب على ظهرها رسالة إلى علي باشا، والي بغداد، يخبره فيها بدخول الشريف غالب في طاعته، ويعرض عليه الدخول في طاعته ويزوده بمئتي ألف رجل يحارب بهم من يشاء، ولا يلتزم بإعاشتهم. ومن الواضح أن هدف هذه الرسالة لم يكن والي بغداد بقدر ما كان السلطان العثماني نفسه؛ لأن الإمام سعود بن عبدالعزيز يريد إطلاعهم على حقيقة موقف الشريف غالب، حيث قال: "والورقة المرسلة هي ورقة الشريف غالب، وأن تسطير كتابي عليها لم يكن لمجرد قلة وجود الورق، بل لأدلل بها على إقرار الشريف غالب وأهل الحرمين على ما أنا عليه من دين وعلى صحة إسلامي..."(٦٣). وهكذا فإن المراسلات وانتظار الردود أو ما تسفر عنه من مواقف وتطورات ربما جعلت السعوديين يتريثون في حربهم لضم مكة حتى سنة ١٢٢٠هـ عندما قرروا تكثيف الضغط العسكري والاقتصادي وحسم الأمر مع الشريف غالب.

(٦٣) دارة الملك عبدالعزيز، وثيقة رقم ١/٢-٤٧ مجموعة رئيس الكتاب، وانظر: أحمد مرسي، شريف مكة بين قوتين، الدارة، العدد الأول، السنة الثانية، ص١٦٩-١٧٠. وانظر ملحق رقم (٣).

وعند النظر إلى ذلك الصلح من وجهة نظر تاريخية تحليلية نرى أن من اللافت للنظر أنه على الرغم من طول مدة المفاوضات ما بين مكة والدرعية ثم جدة إلا أن المصادر المعاصرة لم تورد وثيقة أو بنود الصلح، بينما تواترت الروايات حول كتاب الأمان عند دخول السعوديين لمكة في المرة الأولى وأوردته المصادر كاملاً بنصه. ومما يمكن استنتاجه من إشارات وردت في المصادر هو أن بنود الصلح تركزت حول تنازلات غالب للسعوديين في الجوانب الدينية، في حين تجاهلت الجوانب السياسية والإدارية من الصلح. وبالرغم من ذلك فمن الواضح أن من أهم الشروط السياسية لهذا الصلح هو الإبقاء على الشريف غالب أميرًا على مكة مقابل قبوله بالسيادة السعودية.

انتشرت أخبار ذلك الصلح، وقد أوردها المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي موضحًا أنه بعد الحصار الشديد وما تبعه من انقطاع السلع وغلاء الأسعار لم يسع الشريف غالب إلا مسالمتهم والدخول في طاعتهم وسلوك طريقتهم[٦٤]، ثم أورد بعض الملحوظات على ما قام به السعوديون من أعمال تصب في الجوانب الدينية والاجتماعية والاقتصادية سنتطرق لها لاحقا بإذن الله. بالإضافة إلى ذلك فإن من المؤكد إصرار السعوديين على السماح لهم بنشر مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الحجاز، كما اتضح ذلك من تعليمات الشريف غالب لأهل جدة حتى قبل وصول وفد المصالحة.

(٦٤) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت: دار الجيل (د. ت)، ج٣، ص١١٦.

كان من أهم القرارات التي اتخذتها السلطة الجديدة في الحجاز أن أصدر الإمام سعود بن عبدالعزيز أوامره بمنع وصول قوافل الحج من مصر والشام والعراق وإستانبول ومعها المحمل؛ لأن السعوديين كانوا يرون فيما يصاحب هذه القوافل من المظاهر ما يخالف الشرع وخاصةً المحمل الذي يدخل مكة بالطبول والزمور مما يتنافى مع مقاصد الحج، بالإضافة إلى ما يصحب هذا القوافل من قوة عسكرية يخشى بأسها(٦٥). ولكن لابد هنا من التأكيد أن قدوم الحجاج لم يتوقف من المناطق الأخرى كالمغرب والهند وأفريقيا وغيرها من المناطق(٦٦).

أورد الجبرتي في حولياته أن الإمام سعود بن عبدالعزيز بعد انقضاء موسم حج سنة ١٢٢١هـ سأل أمير الحج المصري: "ما هذه العويدات والطبول التي معكم، يعني بالعويدات المحمل"، فذكر له بأنها علامة على اجتماع الناس...، فرد عليه الإمام سعود بقوله: "لا تأت بذلك بعد هذا العام، وإن أتيت به أحرقته"(٦٧).

(٦٥) للمزيد من المعلومات، انظر: ابن بشر، ج١، ص٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣١٤، ٣٢٧، ٣٣٠، وعبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص١٥٢، ٢١٨-٢١٩، ٢٩٧.

(٦٦) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، القسم الثاني، تحقيق وتعليق ولدا المؤلف: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٥٦، ج٨، ص١٢٠، وهارفرد جونز بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ترجمة وتعليق عويضة بن متيريك الجهني، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ، ص١١٠.

(٦٧) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، ج٣، ص١٨٩.

يلمس الباحث من خلال بعض الوثائق العثمانية أن الموقف حول الحج لم يكن متجمدًا كل سنوات الحكم السعودي لمكة، بل شهد محاولات لاستئناف حملات الحج كما توحي بذلك المراسلات المتبادلة بين الطرفين. وفي هذا الصدد نشير إلى رسالة مهمة بعثها الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى والي الشام يوسف باشا سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م ناقش فيها مآخذ السعوديين على بعض الممارسات التي تصاحب قافلة الحجاج من الأمور الشركية وأنواع المنكرات والفواحش وغيرها. كما فند آراء من يقول: إن ذلك بأمر من السلطان، وذكر أن أهل الحرمين أقروا بصحة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. تطرق بعد ذلك إلى أن السعوديين لا يمنعون من الحج إلا من منعه القرآن، ثم أشار إلى وصول رسالة ومندوب من يوسف باشا ورد الإمام سعود بأن أرسل رجاله لمرافقة الحجاج أو كما قال: "ولما ورد علينا كتابك وآدميك، أركبنا أوادم (أي أرسلنا رجال) من أوادمنا يمشون بالحاج على هالشروط (أي هذه الشروط) المذكورة"(٦٨)، ويبدو من سياق بقية الرسالة أن المقصود صيغة المستقبل؛ أي أنه سيرسل رجال.

ساق الإمام سعود بن عبدالعزيز في هذه الرسالة الشروط الواجب الالتزام بها، ومنها: إزالة المنكرات، وألا يحج عسكر،

---

(٦٨) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT 19550-J، يتضمن رسالة من الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى والي الشام يوسف كنج باشا عام ١٢٢٤هـ، وهي منشورة في: سهيل صابان، الجزيرة العربية بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٥هـ، ص١٤٠-١٤٣. وانظر ملحق رقم (١).

ولا محمل، وألا يتخلف أحد ممن قدم مع قافلة الحجاج، كما اشترط إرسال العوائد السنوية للحرمين الشريفين وأهل مكة وأهل المدينة وغيرهم وتسليمها لرجاله. وأخيرًا يعرض الإمام سعود بن عبدالعزيز على الدولة العثمانية ممثلةً في واليها على الشام هذا العرض بقوله: "فإن صبرتو (أي صبرتم، والمقصود وافقتم ورضيتم) بما ذكرنا فالحاج يمشي بوجهي (أي في أماني) عن جميع المسلمين ذهابًا وإيابًا"(٦٩).

وفي السياق نفسه بعث عليان الضبيني، أحد قادة الإمام سعود بن عبدالعزيز، برسالة إلى والي الشام نفسه أشار فيها إلى أن الإمام سعود بن عبدالعزيز أرسل رسالة يطلب بعث وفد من العلماء من أجل التفاوض مع علماء سعوديين. ويقترح عليان إرسال أربعة علماء يمثلون المذاهب الأربعة، وهو على استعداد لتأمينهم، حتى يتموا مهمتهم ثم يعودوا، وإلا فليؤمن يوسف باشا قدوم علماء سعوديين إلى الشام. أورد بعد ذلك مجموعة من الشروط أو الانتقادات زيادة على ما في رسالة الإمام سعود، أو كما قال: "بزيادة على ما في مكتوب سعود"، وتتراوح ما بين بعض الممارسات الشركية وشرب الخمر واللواط وشرب الدخان والحديث بالقهاوي

(٦٩) الوثيقة نفسها، وقد ورد بعد ذلك سطر يوضح ما أشرنا إليه في الفقرة السابقة: "وذكرنا إلى أوادمك أنك تعاهدنا على الإسلام، وأنك أمرت بالصلوات تقام"، فهنا جمع بين الفعل "تعاهدنا" الذي يفيد صيغة المستقبل، والفعل "أمرت" الذي يفيد الماضي. ولذا فلابد من قراءة مثل هذه الوثائق بدقة وحذر وربطها في سياقها التاريخي.

وظلم الناس وقبول الرشوة...(٧٠). وأخيرًا عرض على يوسف باشا موضوع قافلة الحجاج وقال: "وإن كان لك خاطر في طلوع الحج، أرسل لنا نتواجه أنت وسعود، والذي يوجب الديانة الحقيقية نحن نتبعه، والذي يجنب عنها فهو ضعيف، ولا دين غير دين الإسلام"(٧١). وهكذا نرى أن عليان الضبيني يعرض مناظرة علمية، ويعرض التفاوض لاستئناف قافلة الحجاج، ويحاول في الوقت نفسه كسب علي باشا إلى جانبه.

لم يُقدر لتلك الجهود أن تنجح حيث عُزل يوسف كنج في سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، وحل محله سليمان باشا الذي رد على الرسالتين ردًا شديدًا مملوءًا بالتهجم على الدعوة الإصلاحية والأوصاف الشنيعة لأتباعها، ولم يوافق على المبادرة، بل وذهب إلى حد التوعد بالقتال(٧٢). ومما لا يجب أن يغيب عن البال أن هذا الرد ربما يكون مدفوعًا بجهود الدولة العثمانية التي كانت في تلك الأثناء تحشد قواتها لحرب السعوديين، وقد وصلت طلائع تلك القوات إلى ينبع في العام التالي.

---

(٧٠) رسالة من عليان الضبيني إلى يوسف كنج باشا سنة ١٢٢٥هـ. نقلاً عن: عبدالعزيز سليمان نوار، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧-١٩٢٠م، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٤م، رقم ٥٨، ص٢٢١-٢٢٤.

(٧١) نفسه، ص٢٢٤.

(٧٢) رسالة من سليمان باشا والي الشام إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢٥هـ. انظر نص الرسالة في: عبدالعزيز سليمان نوار، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧-١٩٢٠م، رقم ٥٩، ص٢٢٥-٢٢٩.

ومما لا شك فيه فإن خروج الحجاز عن سيادة الدولة العثمانية يعد خسارة كبيرة؛ نظرًا لما يمثله حكم المدينتين المقدستين من أهمية دينية وسياسية تعود عليها بفوائد جمة بصفتها دولة إسلامية عظمى، إلا أن توقف قدوم حجاج الدولة العثمانية كان له أبلغ الأثر على المجتمع الحجازي عامة وعلى المجتمع المكي خاصة. وفي المقابل كان لتلك الإجراءات أثر سلبي على مستقبل الدولة السعودية من الناحية السياسية، وقد لقي موقف الإمام سعود بن عبدالعزيز المتشدد تجاه الدولة العثمانية نقدًا من بعض المعاصرين مثل الشيخ عبدالرحمن بن حسن، ومن الملك عبدالعزيز فيما بعد(٧٣).

ومما يثير الاستغراب أن السعوديين بعد أن استثمروا الكثير من الجهد والوقت الذي تمثل في سنوات من الصراع السياسي والعسكري حتى تمكنوا من بسط سيادتهم على مكة وعلى بقية مناطق الحجاز، إلا أنهم لم يعينوا ممثلاً سياسيًا لهم هناك، بجانب الشريف غالب الذي أجبر على الاعتراف بالأمر الواقع، وبايع الإمام سعود عندما قدم لموسم الحج سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٧م. لم تخبرنا المصادر عمّا تم اتخاذه تجاه تمثيل الحكم السعودي في مكة في المدة التي أعقبت عقد الصلح مع الشريف غالب في جدة، فلم نسمع مثلاً عن أمير أو مسؤول إداري يأتمر بأمر الدرعية وينفذ سياستها عن طريق رجالاته

**السعوديون لم يعينوا ممثلاً سياسيًا لهم بمكة بجانب الشريف غالب**

(٧٣) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٣٧٥هـ، ص٢٢٢.

سواء كانت حامية عسكرية أو ما شابهها، أسوةً بما كان عليه الحال في المرة الأولى حيث رابطت حاميتان سعوديتان في مكة بجانب الشريف عبدالمعين. والحقيقة أن إدارة مكة في عهد الدولة السعودية الأولى يمكن أن ينظر لها من زاوية العلاقة مع الشريف غالب والتي لخصها دحلان في العبارة الآتية: "ثم إن مولانا الشريف غالبًا في جميع السنين التي كان فيها تغلب الوهابي على مكة كان يصانعهم ويهاديهم بالأموال الجزيلة... يفعل ذلك مدافعةً عن نفسه وحماية لبقاء ملكه ووقايةً لأهل مكة"(٧٤).

عندما ننظر للحكم السعودي في مكة بشكل عام نلحظ أن السعوديين لم يظهروا الاهتمام في الجانب الإداري في مكة مثل ذلك الذي أظهروا في إدارتهم للحرب والزحف العسكري على مكة حتى تم لهم دخولها، حيث لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها سوى مدة قصيرة جدًا لم تتجاوز ثلاثة أشهر، ثم خرجت عن سيطرتهم لمدة قاربت ثلاث سنوات. والحقيقة أن هذا يعد سابقة في تاريخ الدولة السعودية الأولى، حيث لم يثبت - حسب علمي - أن مدينةً أو حتى منطقةً خرجت عن حكمٍ تلك الدولة بعد أن تم السيطرة عليها لتعود إلى حكمها مرة أخرى، ثم يُبقى على حاكمها السابق في منصبه كما حصل مع الشريف غالب. ومما يُلحظ هنا اختفاء دور الشريف

(٧٤) من الواضح أن الشريف غالب عمل ما في وسعه أثناء مدة الحكم السعودي؛ ليحافظ على منصبه في مكة، أما قول المؤلف "ووقاية لأهل مكة" ففيه نوع من المبالغة؛ وعدم الصحة لأن الإدارة السعودية كانت مهتمةً بإدارة مكة كما يتضح لنا من خلال هذا البحث، انظر: أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٩٤.

عبدالمعين، بالرغم مما قام به من دور مهم أثناء حكم السعوديين الأول لمكة، وبالرغم من قضاء الشريف غالب معظم وقته في جدة، فقد توارى أخوه عبدالمعين عن الأنظار، ولم يعد له أي دور في الحياة السياسية العامة في مكة. وفي الوقت الذي لا نرى مسؤولاً سياسيًا سعوديًا نجد المصادر تتحدث عن ممثل للشريف غالب في مكة سماه بوركهارت "الحاكم"، في حين سماه ابن عبدالشكور "وزير الشريف"(٧٥)، فكيف يكون ذلك في ظل الإدارة السعودية لمكة؟! وهذا المنصب في حد ذاته ليس جديدًا، فقد اعتاد الأشراف في مكة على الإقامة معظم وقتهم خارجها، ولهذا فقد كانوا يسندون بعض الأمور الإدارية إلى مساعدين لهم كان من بينهم الوزير(٧٦). ولكن مع هذا يظل الأمر محيرًا، فكيف يجد الشريف غالب أن تمثيله ضروري في حال غيابه، في حين أن السعوديين ليس لهم من يمثلهم بشكل صحيح وصادق!

من هنا يمكننا ملاحظة مظاهر ضعف الإدارة السياسية السعودية في مكة في أنه لا ممثل لها باستثناء الشريف غالب الذي أقل ما يمكن أن يقال عنه: إنه كان يعمل لنفسه أكثر من أي طرف آخر منتظرًا أقرب فرصة تتبدل فيها الأحوال؛ ليتخلص من الحكم السعودي بعد أن اضطر إلى

---

(٧٥) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٩١، وجون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ترجمة عبدالعزيز الهلابي وعبدالرحمن الشيخ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ، ص٢٠٦.

(٧٦) عبدالملك بن حسين العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة: المكتبة السلفية، (د.ت)، ج٤، ص٣٩٩-٤٠٠.

الاعتراف بسياسة الأمر الواقع، أو ما سماه دحلان "سياسة المصانعة"، وكان في الوقت نفسه "يكاتب الدولة العلية سرًا، ويحثهم على تجهيز عساكرهم"[٧٧] للقيام بحملة ضد الدولة السعودية. والحقيقة أن موقف الشريف غالب لم يكن خافيًا على الإمام سعود ولا على كثير من معاصريه، فقد أورد حافظ وهبة رواية شفوية بقيت تتناقلها الأجيال حتى بعد زوال الدولة السعودية الأولى حول تحذير بعض المعاصرين له من موقف الشريف غالب، وقد انتقده كذلك الملك عبدالعزيز على قبول نصائح الشريف غالب[٧٨].

بالإضافة إلى ذلك يمكن أن نلحظ ضعف الإدارة المحلية في مكة من خلال المشاكل والحروب التي كانت تقوم بين العبيد والأتراك في أكثر من مناسبة خلال تلك المدة الزمنية، ولا تهدأ إلا بعد قدوم الشريف غالب من جدة. ونحن هنا لا نسأل عن أسباب هذه المشاكل بقدر ما نسأل عمن ينبري للتدخل بين هؤلاء الفرقاء وحل هذه المشاكل؟ والجواب - على حد تعبير ابن عبدالشكور - يأتي على مرحلتين: "فدخل بينهم بالصلح وزير الشريف... وأصلحوا بينهم هذا الشأن على أنهم يرسلوا رسولاً إلى جدة... وهو يفصل بينهم الخطاب، بما يرسله من جواب، فأعاد الجواب مع الرسول بالحال، وأمرهم بالكف عن القتال حتى يصل بنفسه ويتحقق الخبر..."[٧٩]. وما يمليه المنطق ويمكن استنتاجه من ذلك الموقف هو أنه لو كان بمكة

---

(٧٧) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٩٤.

(٧٨) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٢٢٢.

(٧٩) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٩١.

إدارة أو سلطة سياسية سعودية فعالة لما برزت على السطح مثل تلك المشاكل، ولما احتاجت تدخل وزير الشريف، ثم قدوم الشريف غالب بنفسه لحلها.

وحول هذه العلاقة الغريبة بين السعوديين والشريف غالب تساءل الرحالة الإسباني علي بك العباسي(٨٠)، عند زيارته لمكة في بداية المدة الثانية من الحكم السعودي، كيف أن الإمام سعود بن عبدالعزيز ضم الحجاز إلا أنه لم يصبح "المسيطر على الحكومة Master of the government" . وفي خضم هذه العلاقة يضيف قائلاً: "فإن السكان البسطاء يتساءلون: من هو سيدهم الحقيقي"(٨١).

حرص الإمام سعود بن عبدالعزيز على الحج سنويًا بكل ما يعنيه ذلك من ترؤس الحج والإشراف على شؤون الحجاج. وكان الإمام سعود بن عبدالعزيز يدرك أن صورة السعوديين ودعوتهم قد شوهت في العالم

---

(٨٠) اسمه هو دومنجو باديا لا بليخ (Domingo Badia Y Leblich). ولكنه تسمى بهذا الاسم أثناء أسفاره في المشرق. ولد في مدينة برشلونة سنة ١٧٦٦م، ودرس اللغة العربية والعلوم في مدينة بلنسية، وقد سافر إلى المغرب، ومنها بدأ رحلته إلى الحج مرورًا بطرابلس ومصر ثم مكة. حاول زيارة المدينة المنورة ولكنه لم ينجح؛ فعاد إلى أوروبا مرورًا بمصر وسوريا. قام برحلة أخرى إلى الشرق سنة ١٨١٨م، ولكنه لم يكملها حيث توفي في دمشق في العام نفسه. للمزيد من المعلومات، انظر: روبن بدول، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة عبدالله آدم نصيف، الرياض: ١٤٠٩هـ، ص٢٩-٣٤.

(81) Ali Bey, Traveles of Ali Bey in Morocco, Tripoli, cyprus, Egypt, Arabia, syria, and Turkey, Between The Years 1803 And 1807. London: A. Strahan, 1816, vol.2, p.124.

الإسلامي(٨٢)، وأنه لابد من العمل على تصحيحها. ولتبديد هذه الشائعات وتفنيدها رأى أن خير وسيلة هي مناقشة تلك الأفكار والظهور بالمظهر الحسن الذي يجعل الناس يرون الأشياء على حقيقتها، ولذا نراه ينتهز فرصة قدوم الحجاج إلى مكة ليلتقيهم ويناقشهم في مثل هذه الأمور.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه الحجاج المغاربة عن موسم حج سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م حيث ذكروا أنهم حجوا مع غيرهم من حجاج الآفاق في أمن وأمان، وشاهدوا خلاف ما سمعوه قبل قدومهم. تحدث هؤلاء الحجاج عند عودتهم إلى المغرب عن مشاهداتهم في الحجاز، ومن جملة ما قالوا: "أنهم ما رأوا من ذلك السلطان "سعود" ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام، ونهي عن المناكر المحرمة، وتنقية الحرمين الشريفين من القذرات والآثام التي كانت تفعل بها جهارًا بلا إنكار". وقد أثنى الحجاج المغاربة على ما شاهدوه من بساطة الإمام سعود بن عبدالعزيز، "وأن حاله كحال أحد من الناس لا تميزه من غيره بزي ولا لباس ولا مركوب"(٨٣).

---

(٨٢) حول هذه الصورة المسبقة، انظر: أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، القسم الثاني، ج٨، ص١١٩-١٢٠، ومحمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدين والدولة ١٧٩٢-١٨٢٢م، ترجمة محمد حبيدة، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٢٨-٢٣٢.

(٨٣) محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق وتعليق أحد حفدته: أحمد بن يوسف الكنسوسي، الجزء الأول، ص٢٩١.

وعند لقاء الإمام سعود بن عبدالعزيز بابن سلطان المغرب أظهر له ما يستحقه من التعظيم والاحترام، ولكنه لم ينس إثارة ما يشاع حول الدعوة من مغالطات[٨٤]، حيث قال: "إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية، فأي شيء رأيتمونا خالفنا فيه السنة، وأي شيء سمعتموه عنا قبل رؤيتكم لنا؟". وكان متولي المناقشة قاضيًا مع الوفد المغربي، فأثار قضيةً رد عليه الإمام سعود بن عبدالعزيز، وهو العالم بأن القوم مالكية، بقوله: "إنما نقول كما قال مالك"[٨٥]، فاتفق الطرفان حول هذه القضية. طرح الوفد بعد ذلك قضية حياة النبي ﷺ وإخوانه من الأنبياء في قبورهم، ففند الإمام سعود هذه الإشاعات، ثم أثار القاضي قضية منع زيارة الرسول ﷺ وزيارة سائر الأموات، فرد بقوله: "معاذ الله، أن ننكر ما ثبت في شرعنا، وهل منعناكم أنتم منها لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها، وإنما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية..."[٨٦]. وهكذا وجد الحجاج المغاربة بعد أن قدموا إلى الحجاز، واختلطوا بأهل البلاد، وتناقشوا مع علماء الدعوة، أن من رأى ليس كمن سمع، فأخذوا المعلومات من مصادرها، وصححوا ما لديهم من

(٨٤) حول الموقف الشعبي وموقف العلماء في المغرب، انظر: محمد المنصور، الحركة الوهابية وردود الفعل المغربية عند بداية القرن التاسع عشر، الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٧، ص١٧٨-١٨٣.

(٨٥) محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي، ص٢٩١.

(٨٦) المصدر نفسه، ص٢٩١.

انطباعات وأفكار، وعادوا إلى بلادهم بأخرى بديلة تختلف تمامًا عن تلك التي سمعوها قبل مجيئهم.

على المستوى الداخلي كان الإمام سعود بن عبدالعزيز ينتهز هذه المناسبة المهمة للالتقاء بعماله ورجاله من جميع أرجاء البلاد لمناقشة أمور الدولة، ويحصل في بعض الأحيان أن يستدعي بعض عماله للقائه في موسم الحج مثلما حصل سنة ١٢٢٣هـ عندما استدعى عبدالوهاب أبو نقطة عامله على عسير والشريف حمود بن محمد أبو مسمار عامله على المخلاف السليماني لحل ما علق بينهما من خلافات(٨٧).

كما كان من أهم لقاءاته السنوية ذلك اللقاء الذي يعقده الإمام سعود مع الشريف غالب حيث يورد ابن بشر أخبار تلك اللقاءات وتردده على الإمام سعود بن عبدالعزيز ويصفه بقوله: "وصار معه كالأخ الشقيق"، وبقوله: "وهو لسعود بمنزلة أحد نوابه وأمرائه الذين في نجد بالسمع والطاعة"(٨٨).

من ناحية أخرى كان الإمام سعود بن عبدالعزيز يترأس العرض العسكري في منى، وقد ألمح علي بك إلى شيء من ذلك في وصفه ليوم عرفة حيث قال: كان مخيم السعوديين على مرأى منا حيث بدأوا عرضهم العسكري بعد صلاة الظهر يتقدمهم الإمام سعود بن عبدالعزيز وعبدالوهاب أبو نقطة. يبلغ عدد جيشهم خمسة وأربعين ألف رجل، وسار في مقدمتهم مئتا فارس يحملون فوق رماحهم رايات ذات ألوان مختلفة. ويكمل وصفه للعرض العسكري، ويذكر أنه لم يتمكن

(٨٧) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧٥٠، ٧٥٣.
(٨٨) ابن بشر، ج١، ص٢٩٤، ٢٩٦.

من تمييز الإمام سعود عن غيره من الناس، لأن أفراد الجيش كانوا بلباس الإحرام ولكن يظن أنه ذلك الرجل الجليل ذو اللحية البيضاء الذي يتقدمه العلم الملكي. كما انفرد - على حد علمي - علي بك وكان سباقًا في وصفه لعلم الدولة السعودية الأولى حيث ذكر أن لونه أخضر، وتتوسطه عبارة "لا إله إلا الله" مطرزةً بحروف بيضاء كبيرة(٨٩).

وهكذا تتجلى وتتعاظم مظاهر الحكم السعودي في مكة أثناء موسم الحج متوجة بحضور أعلى سلطة في الدولة وترؤسه وإشرافه على الحج بما يمثله ذلك من أهمية سياسية ودينية تتعدى حدود الجزيرة العربية، ولكن ذلك الزخم ما يلبث أن يأخذ في الانكماش؛ وذلك بسبب غياب التمثيل السياسي السعودي.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن موضوع التمثيل السياسي للدرعية لم يكن غائبًا عن الأذهان، وكان الناس يتوقعون إجراءً حيال هذا الموضوع؛ فقد أشيع بعد حج سنة ١٢٢١هـ أن الإمام سعود بن عبدالعزيز ينوي مصاحبة قافلة الحج الشامي حتى تصل التخوم الشامية، ثم يعود إلى مكة؛ ليستقر بها أو على الأقل يعين أحد أبنائه عليها(٩٠).

كان أول من حاول ملء فراغ تمثيل الإدارة السعودية في مكة عثمان المضايفي، حيث ذهب إلى الدرعية بعد مشكلة العبيد والأتراك في مكة، ولكنه لم يفز بطلبه(٩١).

(89) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, pp. 68-69 .

(90) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, p. 125.

(٩١) نفس المصدر، ص٢٩٣- ٢٩٤.

من ناحية أخرى فإن محاولات الحصول على الإمارة لم تقتصر على عثمان المضايفي، فقد حاول الشريف عبدالله بن سرور انتزاع الشرافة من عمه حيث خرج من مكة إلى إستانبول طالبًا دعمها ولكنه لم يفز بطائل. وللهدف نفسه قصد الدرعية وأقام بها لبعض الوقت، محاولاً الحصول على مساعدتها، وعندما يئس من الحصول على شرافة مكة طلب إمارة الطائف، وعندما لم يوفق الشريف عبدالله بن سرور في أي من جهوده استأذن في العودة إلى مكة، ولكن الإمام سعود بن عبدالعزيز لم يسمح له إلا بالتوجه إلى السويرقية(٩٢)، حيث أمضى بها ثلاث سنوات قبل أن يسمح له الإمام سعود بالعودة إلى مكة. أما عمه الشريف غالب فمنعه من دخول مكة، وبينما كانت الوساطة جارية بين الطرفين علم عثمان المضايفي بالأمر، فأرسل رجاله، وألقوا القبض عليه، وأودعه السجن ستة أشهر؛ لأنه أخذ عليه طلب إمارة الطائف وكلامه فيه عند الإمام سعود، وبعد خروجه من السجن لم يتمكن من العودة إلى مكة، فذهب إلى قرية الجال(٩٣)، وبقي بها إلى أن مات سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م(٩٤).

(٩٢) السويرقية بلدة تقع في منطقة المدينة المنورة بالقرب من مهد الذهب وصفينة وساية، انظر: محمد بن عبدالله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج٣، ص١٨٥-١٨٦.

(٩٣) الجال قرية تقع قرب الطائف على وادي وج، انظر: عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٢، ص١٠٨.

(٩٤) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٩٤-٥٩٦، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٩٣-٢٩٤، وقد ذكر بوركهارت أن سعيد بن سرور شارك أخاه عبدالله في محاولة انتزاع السلطة من عمهما الشريف غالب، انظر: جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٢٠٦.

من هنا يمكن أن يخرج الباحث بانطباع وهو أن الدرعية لا تريد إضعاف نفوذ الشريف غالب أو إيجاد اضطراب معه، فمثلاً بعدما شارك عثمان المضايفي في غزوة على العراق سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٩م، أراد العودة إلى الطائف، ولكن لأن الإمام سعود بن عبدالعزيز يعلم ما بينه وبين الشريف غالب من اضطراب أمره أن يتوجه إلى المدينة، وأن يقيم أخاه في الطائف(٩٥)، الأمر الذي قد يفسر على أنه محاولة من الإمام لتهدئة الأمور بين الطرفين. من هذه المواقف يمكننا استنتاج أن الإمام سعود بن عبدالعزيز لم يحسم موقفه تجاه الشريف غالب، بل وكأنه يريد أن يحميه من خصومه، وقد يقال مثلما قال علي بك: "بل وكأنه يريد أن يحترم قوة الشريف"(٩٦). وقد فسر بريدجز ذلك بأن الشريف غالب حتى مع وقوع مكة تحت سيادة السعوديين إلا أنه ما زال يحتفظ "بقدر كبير من النفوذ بين عدد كبير من القبائل الرحل، مما أجبر سعودًا على مراعاة بعض الأمور والعلاقات المعينة تجاهه"(٩٧).

في المقابل نرى أن الشريف غالب منذ بداية المدة الثانية للحكم السعودي يركز وجوده ليس في جدة وينبع فحسب، بل وفي موانئ الساحل الأفريقي المقابل للحجاز على الضفة الأخرى من البحر الأحمر مثل: سواكن ومصوع والقصير(٩٨).

(٩٥) انظر: لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧٤٨-٧٤٩.

(96) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, p. 124.

(٩٧) هارفرد جونز بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ص١١٠.

(٩٨) سنناقشها لاحقًا - إن شاء الله - في الإدارة الاقتصادية.

كما أنه لم يكتف بما اتخذه من إجراءات في موانئ البحر الأحمر، بل قام ببناء قلعة على جبل الهندي بجانب قصره الجديد الذي سكنه بعد أن دمر قصره الواقع قرب الحرم، ومن المؤكد أن مثل هذه الترتيبات لم تكن لتعزيز الإدارة السعودية في مكة بل على العكس من ذلك[٩٩].

من ناحية أخرى نلحظ صمت المصادر عن أي وجود عسكري في مدة الحكم السعودي الثانية بخلاف المرة الأولى التي رابطت خلالها حاميتين عسكريتين في مكة كما أشرت إلى ذلك سابقًا. مما يجعل المرء يستنتج أنه ربما لم يكن هناك وجود لقوات عسكرية، ولو كانت موجودة لما ترددت المصادر في ذكرها. والحقيقة أنني لا أدري ما سبب ذلك، وهل كان من بين شروط الصلح عدم تمركز قوات سعودية في مكة؟ ومما يمكن استنتاجه أن الأمر كذلك، وهو ما أدى إلى ضعف الإدارة السياسية السعودية في تلك المدينة المهمة.

يمكن للباحث أن يرى هذا الخلل كذلك عند تتبع روايات ابن بشر حول حجات الإمام سعود بن عبدالعزيز ابتداءً من

---

(٩٩) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٩٠-٥٩٤، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٩٣.

Ali Bey, Traveles of Ali Bey , pp.119-120.

وقد ذكر بريدجز أن الشريف غالب قام بإحراق ما لم يستطع حمله من الأثاث عند انسحابه من مكة في المرة الأولى، انظر: هارفرد جونز بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ص ١٠٥. وفي رواية ذكرها جحاف في حوادث سنة ١٢١٨هـ أن غالب هو منٍ أحرق القصر بنفسه قبل أن ينسحب إلى جدة، واستمرت النار مشتعلة لمدة (٢٣) يومًا، انظر: لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥٢٨-٥٢٩.

حجته الثالثة التي تمت بعد الصلح مع الشريف غالب سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م حتى حجته السابعة. في كل مرة من هذه المرات يتحدث ابن بشر عن أعمال الإمام سعود في مكة والتي تتراوح ما بين صدقات واهتمام بأمور الحسبة وتبادل الزيارات والهدايا مع الشريف غالب ولم يزد على ذلك. ولكنه في السياق نفسه يذكر في كل مرة من هذه المرات اهتمام الإمام سعود بحامية المدينة، حيث يبعث بمرابطين جدد ليحلوا محل المرابطين السابقين. أما الحجتان الثامنة والتاسعة في العامين ١٢٢٦و١٢٢٧هـ فقد صحبهما تغير في الظروف، حيث شهدت البلاد قدوم القوات العثمانية - المصرية إلى الحجاز؛ ولذا نلحظ أن ابن بشر بعد أن يتحدث عن أعمال الإمام سعود بن عبدالعزيز المعتادة في مكة يضيف خبرًا حول مرابطة قوات سعودية هناك.

تم موسم حج سنة ١٢٢٦هـ بعد انتصار القوات السعودية في معركة وادي الصفراء، ولكن ما زالت القوات الأجنبية في الحجاز، ولذا فبعد أن انتهى موسم الحج ترك الإمام سعود بن عبدالعزيز بمكة قوةً عسكرية. أما موسم حج سنة ١٢٢٧هـ فقد جاء بعد سقوط المدينة وتأزم الموقف بشكل كبير، حيث قال ابن بشر في وصف مغادرة الإمام سعود بن عبدالعزيز: "فلما أراد الخروج من مكة أبقى فيها عساكر ممن كان معه، وبايعه غالب عن عدم(١٠٠) الخيانة والغدر،

(١٠٠) وردت في طبعة مكتبة الملك عبدالعزيز: "وبايعه غالب عن الخيانة والغدر..."، انظر: عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، نسخة مصورة، تقديم عبدالله بن محمد المنيف، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٢هـ، ص٢٠٧.

فلما خرج منها أبقى ابنه عبدالله بجميع شوكة المسلمين، وأمرهم ينزلون وادي مر"(١٠١).

كان الاستثناء من تلك القاعدة الواضحة ما أشار إليه جحاف في حوادث سنة ١٢٢٣هـ، وهو أن الإمام سعود بن عبدالعزيز بعث في ذلك العام قوةً من ثلاث مئة رجل مع عدد من العلماء؛ وذلك لأن الشريف غالب طرد "جماعة المطوعة من جدة ومكة لأمور صدرت منهم، لم يكن لغالب قدرة على احتمالها"(١٠٢). والحقيقة أن هذه الحادثة بقدر ما تدل على تصميم الإمام سعود على نشر الدعوة السلفية في مكة، إلا أنها تدل على جرأة الشريف غالب. ولكن في ظل عدم مرابطة حاميات عسكرية فإن ثلاث مئة رجل لا يمكن أن يفعلوا الكثير أمام قوة الشريف غالب التي قدرت بحوالي ثلاثة آلاف رجل(١٠٣).

وفي مواجهة التهديدات العثمانية التي بدأت تأخذ شكلاً خطيرًا حاول الإمام سعود أن يوحد الجبهة الداخلية كما يظهر جليًا من رسالته إلى والي الشام سليمان باشا والمؤرخة في ١٤ ذي القعدة سنة ١٢٢٥هـ/ ١٠ ديسمبر ١٨١٠م. كانت رسالة طويلة تحمل في طياتها شرحًا ودفاعًا عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما يثار حولها في تلك الأيام. وعند تحليل مضامين هذه الرسالة نجد أنها رسالة دينية

---

(١٠١) للمقارنة بين هذه الروايات، انظر: ابن بشر، ج١، ص٢٩٢، ٢٩٤-٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣١٥-٣١٦، ٣٢٧، ٣٣٠.

(١٠٢) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧٤٩.

(103) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, p. 124 .

بدفاعها عن الدعوة وصحة مبادئها، بالإضافة إلى أنها رسالة سياسية هدفها إظهار وحدة الموقف تجاه التهديدات الخارجية. بعد انتهاء الرسالة وتدوين تاريخها زيد عليها سطران فيهما شهادة علماء مكة.

تلى ذلك قبل نهاية الصفحة عبارة تنص على شهادة الموقعين على الرسالة بأن ما قام به الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعا إليه الإمام سعود "لهو الدين الحق"، ثم مهرت الرسالة بختم الشريف غالب وأختام أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم من علماء مكة. كما أضيف في آخر الرسالة أربعة أسطر بشهادة علماء المدينة المنورة ثم تواقيعهم(١٠٤).

ومما لا شك فيه أن الإمام سعود بن عبدالعزيز هدف من تلك الرسالة المفعمة بشهادة أعيان المجتمع في مكة المكرمة وعلى رأسهم الشريف غالب، إلى إثبات أن الدولة السعودية قوية ومتماسكة وأن ما تدعو إليه هو الإسلام الصحيح(١٠٥).

---

(١٠٤) انظر صورة الرسالة كاملةً في: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز. ط٢، ١٤٢١هـ، ص٧٧، وانظر الملحق رقم (٤).

(١٠٥) ومن الجدير بالذكر أن علماء مكة، بما فيهم بعض من وقع على رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز السابقة الذكر، بعثوا في سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م رسالة إلى الصدر الأعظم يعرضون فيها خطر التوسع السعودي، ويحذرون منه ويطلبون مساعدة الدولة العثمانية، ومع أن تلك الرسالة لا تحمل توقيع الشريف غالب إلا أنه من المؤكد على علم بها أو على الأقل كانت بإيعاز منه. للمزيد من التفاصيل، انظر: الأرشيف العثماني تصنيف HAT. 3838-C، ويتضمن رسالة من الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى سليمان باشا عام ١٢٢٥هـ.

وأمام ضعف الإدارة السياسية السعودية في مكة الذي لا يتناسب مع ما حققه السعوديون من مكاسب سياسية وعسكرية لابد من السؤال عن أسباب ذلك. والجواب ربما يكمن في قدسية المكان وخصوصية حكام تلك المدينة، الأمر الذي أملى عليهم التعامل معها بطريقة مختلفة عن غيرها من المناطق الأخرى. ولو رجعنا إلى أدبيات تلك الفترة للحظنا أن المسؤولين السعوديين أدركوا منذ وقت مبكر أهمية وحساسية التعامل مع حكام مكة، فقد ورد في رسالة بعثها الإمام عبدالعزيز بن محمد والشيخ محمد بن عبدالوهاب مع الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين إلى الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م، جاء فيها بعض عبارات المجاملة والتودد واعتراف بمكانة آل البيت. ومن بين عبارات هذه الرسالة ما يأتي: "حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين وأعز به دين جده سيد الثقلين"، وعبارة "إن الكتاب لما وصل إلى الخادم"، وعبارة: "يجلس في مجلسه (أي في مجلس الشريف) أعزه الله هو وعلماء مكة"، وعبارة "وأحق الناس بذلك وأولاهم به أهل البيت الذي بعثه الله منهم وشرفهم على أهل الأرض، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته ﷺ"[١٠٦]. كما

(١٠٦) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، ج٢، ص٨٠-٨١، ١٤٤، ومؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس: الرسائل الشخصية، صنفها وأعدها للتصحيح تمهيدًا لطبعها عبدالعزيز الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (د. ت.)، ص٣١٢.

يُلحظ ذلك في رسالة أخرى من الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى علماء مكة حملها الشيخ عبدالعزيز الحصين حيث ذكر العبارة التالية: "فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره"(١٠٧).

إن ورود مثل تلك العبارات أمر غير مألوف في طبيعة مراسلات مسؤولي الدولة السعودية الأولى، ولكن بما أن هذه الدولة دولة دعوية يمثل الدين أساسًا لها فقد رأت التعامل مع الشريف غالب بهذا الأسلوب؛ نظرًا لما يمثله من رمز ديني مهم بحكم كونه من سلالة الرسول ﷺ.

من ناحية أخرى كان التعامل مع العثمانيين أسهل وأكثر وضوحًا، حيث لم يجد السعوديون حرجًا في القضاء على مظاهر نفوذهم في مكة المكرمة حيث أوقفوا المحمل وأخرجوا الموظفين العثمانيين واستبدلوا كسوة الكعبة المشرفة بكسوة سعودية.

وبهذا نرى أن موقف السعوديين تجاه خصومهم كان واضحًا، وقد كان البديل جاهزًا لو أراد السعوديون استبدال الشريف غالب بغيره كما تمثل ذلك في عثمان المضايفي أو الشريف عبدالله بن سرور وكلاهما كانا يطمحان إلى إمارة مكة المكرمة وطلبا الدعم من الدرعية ولكنهما لم يحصلا عليه.

---

(١٠٧) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، ج٢، ص١٤٤.

## ثانياً: الإدارة الدينية

تختلف الدولة السعودية الأولى عن غيرها من الدول المعاصرة لها في أنها كانت دولةً فتيةً اتخذت من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منهجًا لها، ولذا فإن ضم مكة يعد هدفًا إستراتيجيًا ومحطة مهمة في تاريخ توسع تلك الدولة.

ونتيجةً لذلك فعندما دخل السعوديون مكة في المرة الأولى حرصوا كثيرًا على نشر الدعوة وإيضاح حقيقتها التي شوهت، ولهذا لم يضع الأمير سعود بن عبدالعزيز كثيرًا من الوقت حيث دعا إلى اجتماع عام في المسجد الحرام في ضحى يوم الأحد التاسع من المحرم، وهو اليوم الثاني لوصولهم.

وعندما تجمع الناس، وكان من بينهم بعض علماء مكة، خطب فيهم الأمير سعود بن عبدالعزيز خطبة طويلة تركزت حول أهمية التوحيد، أو كما قال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الذي كان حاضرًا مع الجيش: "وعرض الأمير عافاه الله ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه وهو إخلاص التوحيد لله تعالى وحده...".

كما ركز على أهمية معرفة معنى الشرك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وناظر بعض علماء مكة حول الشفاعة[١٠٨]. وفي ختام الاجتماع طلب منهم الأمير سعود البيعة ثم

(١٠٨) رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حول دخول مكة، ص٢-١٦.

جلس، فبايعه الشريف عبدالمعين ثم المفتي عبدالملك قلعي(١٠٩) ثم القاضي ثم بقية الناس(١١٠).

ونظرًا لما تمثله مكة من أهمية دينية وسياسية تتعدى حدودها الإقليمية، فقد بدأ الأمير سعود بن عبدالعزيز في تنفيذ بعض الإجراءات الإدارية الدينية التي تمثل منهج الدولة في الحكم. ففي مساء اليوم نفسه الذي تمت فيه البيعة دعا الأمير سعود بن عبدالعزيز إلى اجتماع بعد صلاة العصر في المسجد الحرام، وألقى خطبة أوضح فيها برنامجه الإصلاحي في مكة. كان هدف ذلك الاجتماع هو شرح الأمور التي يجب مراعاتها مثل هدم القباب القائمة

---

(١٠٩) هو الشيخ عبدالملك بن عبدالمنعم القلعي ولد بمكة ونشأ بها وقرأ على والده وغيره من علماء مكة. اشتهر بغزارة علمه، فتولى التدريس بالمسجد الحرام والخطابة، كما تولى الإفتاء لمدة سبع وثلاثين سنة (١١٩١-١٢٢٨هـ)، وتوفي بمكة سنة ١٢٢٨هـ. انظر: عبدالله مرداد أبو الخير، المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي، (د. م)، نادي الطائف الأدبي، ط١، ١٣٩٨هـ، ج ٢، ص٢٨٢-٢٨٤. ولابد من القول أن هناك اختلافًا بين المصادر حول صحة الاسم، ولكن يبدو أن الصواب هو ما ورد عند الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حيث قال: "عبدالملك القلعي مفتي الحنفية"، انظر: رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حول دخول مكة، ص٤، كما ورد بالاسم نفسه عند أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٨-٢٧٩، وكذلك في رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى سليمان باشا والي الشام، انظر صورتها في: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص٧٧. أما عند ابن عبدالشكور فقد ورد اسمه "عبدالقادر القلعي"، انظر: تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٥.

(١١٠) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥١-٥٤٥، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٧-٢٧٨.

على بعض القبور أو كما قال ابن عبدالشكور: "وأنكم في غد اطلعوا للقبب واهدموها، واطرحوا الأصنام، وارموها حتى لا يكون غدًا معبود غير الله"(١١١). وتنفيذًا لتلك الأوامر انطلق جيش سعود ومن معهم من أهل مكة يعملون لأيام عدة في إزالة ما رأوه مخالفًا للشريعة من القباب وغيرها. وقد ذكر الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أن ذلك قد تم فعلاً، حيث قال: "فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه ويرجى النفع والضرر بسببه من جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق في تلك البقعة الطاهرة طاغوت يعبد..."(١١٢).

ومع أن مكة المكرمة كلها حرم إلا أن المسجد الحرام يعد أهم مكان بها حيث الكعبة قبلة المسلمين وما يرتبط بها من شعائر دينية، ولذا رأى الأمير سعود بن عبدالعزيز أنه لابد من إجراء بعض التنظيمات ومراجعة بعض الممارسات، ويأتي في مقدمتها تنظيم صلاة الجماعة؛ لِيُظهر المسلمون نوعًا من الوحدة في صلاتهم في الحرم المكي. اعتاد المسلمون في المسجد الحرام لقرون مضت على أداء كلٍ صلاة من صلوات الأوقات الخمسة خلف أربعة أئمة. فمثلاً عندما مر الرحالة ابن جبير بمكة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر

(١١١) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٤٥-٤٤٩، وللمزيد من التفاصيل حول تلك الإجراءات، انظر: ابن بشر، ج١، ص٢٦٣، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٨.

(١١٢) رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حول دخول مكة، ص٤، ٢٣.

الميلادي، لحظ أن الصلاة كانت تقام في المسجد الحرام في كل وقت أربع صلوات: فيصلي إمام الشافعية، ويتلوه إماما المالكية والحنابلة حيث يصليان في وقت واحد، ثم إمام الأحناف وهو آخر من يصلي. أما صلاة المغرب فيصلونها في وقت واحد نظرًا لضيق الوقت، مما يؤدي إلى التداخل بين الأئمة، "فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي أو سلم أحدهم بغير سلام إمامه"(١١٣).

ومثلما لحظ ابن جبير مدى ما تحدثه تلك العادة من ارتباك وتشويش على سكينة المصلين، لحظ الأمير سعود بن عبدالعزيز الأمر نفسه، فأمر بإبطالها وألا يصلي في المسجد إلا إمام واحد، وتقرر أن يؤم الناس في صلاة الفجر إمام الشافعية، وفي الظهر إمام المالكية، وفي العصر إمام الحنابلة، وفي المغرب إمام الأحناف(١١٤). وهكذا وزعت الأوقات الأربعة على الأئمة الأربعة، أما صلاة العشاء فلم يرد بها نص واضح، وقد أوردها كل من ابن عبدالشكور ودحلان بالعبارة نفسها تقريبًا، حيث وردت عند الأول: "كل ساجد وراكع"، أما دحلان فقد أوردها بهذا الشكل: "والعشاء يصليه كل راكع وساجد"(١١٥).

---

(١١٣) محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت: دار بيروت، ١٣٩٩هـ، ص٧٨-٧٩.

(١١٤) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٤-٤٥٥، ومحمد بن عبدالله السلمان، الإمام سعود بن عبدالعزيز والحرمان الشريفان، الحرس الوطني، العدد ٢١٨، السنة الحادية والعشرون، جمادى الأولى ١٤٢١هـ، ص١٧.

(١١٥) للمقارنة بين النصين، انظر: ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٤، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٨.

والحقيقة أن هذه العبارة يمكن أن تفهم على أوجه عدة فمثلاً: هل المقصود بها أن يؤم الناس أي من أئمة المذاهب الأربعة؟ أم بالتوالي بين الأئمة الأربعة؟ أم حسب الطريقة السابقة؟ أم أن الأمر متروك لكل إمام يصلي في الوقت الذي يريد؛ نظرًا لاتساع وقت صلاة العشاء. ولكن ترك المسألة بهذا الشكل يظل يثير علامة استفهام وتعجب، فكيف يعمل الأمير سعود بن عبدالعزيز على تنظيم إمامة الصلاة في كل الأوقات ما عدا وقت صلاة العشاء؟! ومثل هذا الأمر يفتح باب الاختلاف وربما التنازع حول الإمامة. ومن المهم هنا الإشارة إلى أن ما قام به الأمير سعود بن عبدالعزيز من توحيد الصلاة خلف إمام واحد قد نال إعجاب وتقدير بعض المعاصرين مثل الشيخ أحمد بن عبدالقادر الحفظي (١١٤٥-١٢٣٣هـ) الذي بعث قصيدةً طويلة لذلك الإمام مهنئًا له بالنصر، ومباركًا تلك الإجراءات، حيث قال:

ويا سعد من أضحى سعود إمامه    فذلك ظل الله في الأرض ساريا
وطهر بيت الله من كل مشرك    وللكعبة البيت الحرام كاسيا
وعلى الصلاة الخمس جمعًا بواحد    وأصبح شيطان التفرق خاسيا(١١٦)

وحول موضوع الإمامة في الحرم وتعددها أورد الرحالة علي بك، الذي قدم للحج بعدما يقارب العام على بداية الفترة الثانية من الحكم السعودي سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٧م،

---

(١١٦) يحيى بن عبدالله المعلمي، رسالة من الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، أعاد طبعها الفريق يحيى بن عبدالله المعلمي، الرياض: دار المعلمي للنشر، ١٤٢٦هـ، ص١٠٩-١١٠.

بعض الملحوظات حول المقامات وأماكن أداء الصلاة بالنسبة لكل إمام من الأئمة الأربعة وما حصل عليها من تغيرات بعد قدوم السعوديين. ولكن يلحظ بعض التعارض بين معلوماته ومعلومات المصادر المحلية، حيث ذكر أن إمام الحنابلة يؤم الناس في صلاة الفجر، ويؤمهم في صلاتي الظهر والمغرب إمام الأحناف، وفي صلاة العصر يؤمهم إمام الشافعية، أما في صلاة العشاء فيؤمهم إمام المالكية(١١٧). وبالرغم من أن علي بك دون هذه الملحوظات بصفته شاهد عيان تردد على الحرم مرات عدة أثناء إقامته بمكة، إلا أنه مع ذلك يظل غريبًا على مكة وعلى اللغة العربية، ولهذا فإن رواية ابن عبدالشكور أقوى وأدق، ليس لأنه من أهل مكة فحسب، بل لأنه عالم من علمائها.

وفي إطار هذه التنظيمات في المسجد الحرام لابد من السؤال عن خطبتي الجمعة والعيدين وما حصل عليهما من تغيير إبان فترة الإدارة السعودية لمكة. ذكر المؤرخ المكي، ابن عبدالشكور أن الأمير سعود بن عبدالعزيز عندما دخل مكة سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م أمر القاضي عبدالقادر القلعي (الصواب عبدالملك كما أشرنا إلى ذلك سابقًا) بأن يؤم الناس في صلاة الجمعة، ولم يزد على ذلك شيئًا حول الدعاء في الخطبة وهل وجهه للإمام عبدالعزيز بن محمد أم لمن؟(١١٨). من ناحية أخرى كان جحاف أكثر دقة في وصفه لما قام به الأمير سعود بن عبدالعزيز من إجراءات عند دخوله

---

(117) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol.2, p. 86.

(١١٨) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٥.

مكة سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م حيث قال: "وفي يوم الجمعة ألزم الخطيب أن يذكر خطبةً شرعيةً لا يذكر فيها أحدًا، فراجعه الخطيب، وسأله عن السلطان، فأجاب إذا وصلت إلى ذكره، فقل: وأيد اللهم السلطان، واعمر مقامه بالعدل والصلاح، ولا تزد على هذا"(١١٩). والحقيقة أن مثل هذا الكلام يدل على أن السعوديين في ذلك الوقت لم يتبلور موقفهم بعد تجاه السلطان العثماني، أو أن الأمير سعود بن عبدالعزيز أراد أن يأخذ رأي والده قبل اتخاذ أي إجراء تجاه السلطان العثماني والدعاء له في خطبة الحرم المكي. لكن علي بك - في سياق ملحوظاته عن مكة - أورد ملحوظتين مهمتين:

الأولى: بالرغم من أن سعودًا يحكم البلاد بجيشه، إلا أن خطبة الجمعة كانت تلقى باسم السلطان العثماني.

الثانية: بعد انتهاء موسم الحج وعودته إلى جدة ذكر علي بك أن سعودًا أمر بإلغاء ذكر اسم السلطان العثماني في خطبة الجمعة، وذلك في كل من جدة ومكة(١٢٠)، ولكنه لم يذكر لمن وجه الدعاء؟

وللوهلة الأولى يبدو أن هاتين الملحوظتين متناقضتان، ولكن لابد من ملاحظة أن علي بك يدون ملحوظاته حسب ورودها وتسلسلها أثناء سيره في رحلته.

---

(١١٩) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥٢٩.

(١٢٠) للمقارنة بين هاتين الروايتين، انظر:

Ali Bey, Traveles of Ali Bey ,vol. 2, pp. 123, 142.

وحول خطبة العيدين لم نجد إلا بعض الإشارات حول خطبة يوم عرفة فقد اهتم ابن بشر - وهو أقرب المصادر إلى دوائر الحكم في الدرعية - بذكر أخبار سعود وحجاته التسع إلى مكة، ولكنه لم يذكر شيئًا حول خطبة يوم عرفة. وكان الشيء الوحيد الذي ذكره حول الخطبة هو في حج سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م عندما كان ابن بشر حاجًا، حيث ذكر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز كان في يوم عرفة يخطب على ظهر مطيته في نمرة، حتى قدم الشريف غالب، فنزل وسلم عليه، ثم أقيمت الصلاة جمعًا(١٢١). كما ذكر علي بك كلامًا قريبًا من هذا، فقد ذكر في يوم عرفة من حج سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م أن الشريف غالب كان معتادًا على إرسال إمام لإلقاء الخطبة، ولكن الإمام سعود أعاده، وبدلاً من ذلك ألقى الخطبة أحد أئمته(١٢٢).

كان الأمير سعود بن عبدالعزيز أثناء إقامته بمكة ينزل قبل الفجر إلى الحرم لأداء صلاة الصبح، وقد ذكر أن المؤذنين بعد الانتهاء من الأذان الأول يرددون بعض الأدعية، أو ما يسمى التذكير والتسليم والترحيم مثل الصلاة على النبي ﷺ، وقول يا أرحم الراحمين، والترضي عن الصحابة،

---

(١٢١) عن حجات الإمام سعود بن عبدالعزيز، راجع: ابن بشر، ج١، ص٢٩١ - ٢٩٢، ٢٩٤ - ٢٩٥، ٢٩٦ - ٢٩٧، ٣٠٤ - ٣٠٥، ٣١٤ -٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٠.

(١٢٢) وقد ذكر علي بك أنه لم يتمكن من سماع الخطبة؛ لأنه كان بعيدًا. ولذا فلم يورد أي معلومات حول محتواها، انظر:

Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 70.

وقد أمر بإيقاف تلك العادة. كما لحظ انتشار بعض البدع والأمور الشركية، ولهذا أمر بتدريس كتاب كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبدالوهاب في المسجد الحرام. ومن المعلوم أن المسؤولين في الدولة السعودية الأولى يعطون أهمية كبيرة للعلم، ويؤكدون على الناس حضور المجالس العلمية، ولكن ابن عبدالشكور بالغ حين أورد هذا الخبر، وقال: "فحضر جميع أهل مكة على هذا التدريس..."(١٢٣).

قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بهذه الإجراءات وغيرها أثناء فترة الحكم السعودي الأول، ولكنها لم يكتب لها الاستمرار طويلاً، حيث تمكن الشريف غالب من العودة وتسلم زمام الأمور في مكة مرةً أخرى. والحقيقة أننا لا نعلم على وجه التحديد ما هي الإجراءات التي اتخذها الشريف غالب، بعد عودته إلى حكم مكة، تجاه ما أزاله السعوديون من قباب وغيرها خلال فترة حكمهم الأول لمكة، ولكن مما يبدو في حكم المؤكد أنه ألغى ما سنه السعوديون - في الفترة الأولى - من إجراءات إدارية دينية. والدليل على ذلك ما ذكرته المصادر من أن الشريف غالب أرسل بعد إتمام الصلح في جدة أوامره إلى رجاله في مكة للالتزام أو إعادة ما سنه السعوديون من أنظمة وتغييرات في المرة الأولى من حيث عدم تكرار الصلاة

(١٢٣) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٦، وحول هذه الإجراءات، انظر: رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حول دخول مكة، ص٢٧، ولطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥٢٨، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٩.

في المسجد الحرام وعدم ترديد الأدعية بعد الأذان وغيرها مما طالب به السعوديون(١٢٤). أما الأشياء التي طالها الهدم فلا يستبعد أنه قام بإصلاح بعضها إن لم يكن كلها خاصة وأنه بقي في الحكم لمدة تقارب ثلاث سنوات قبل أن يعود السعوديون إلى حكم مكة مرةً أخرى(١٢٥).

ومن الثابت أن السعوديين خلال فترة حكمهم الثانية أعادوا برامجهم السابقة في إدارة مكة فيما يتعلق بالأمور الدينية، وذلك بإزالة ما رأوه مخالفًا للدين من قباب ومزارات وغيرها، أو كما قال صاحب تحصيل المرام: "ولأجل هذا هدموا جميع قبب الأولياء والصحابة التي بمكة، وكذا التي بالمدينة ما عدا قبته ﷺ"(١٢٦). بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر الجبرتي أن من شروط الصلح الأخير مع الشريف غالب إخلاص التوحيد لله وحده والكف عن الشركيات، "وما أحدثوه من بناء القباب والتصاوير والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والنذور والذبح والقربان

(١٢٤) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٨٨-٥٨٩.

(١٢٥) يجب التنبيه إلى أن الحكم السعودي الأول لمكة استمر قرابة ثلاثة أشهر، في حين أن هذه الإجراءات تمت بعد عام تقريبًا من الصلح مع غالب في جدة، أو بمعنى آخر بعد أن مضى ما يقارب العام من الإدارة السعودية لمكة، انظر:

Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 67.

(١٢٦) محمد بن أحمد بن سالم المعروف بالصباغ، تحصيل المرام في أخبار بيت الله الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، دراسة وتحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، (د. م)، مكتبة الأسدي، ط١، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص٧٩٨.

وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال... وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة...الخ"(١٢٧).

ومما يدل على أن السعوديين لم يكتفوا بما سنوه من إجراءات في المرة الأولى، بل قاموا بسن إجراءات جديدة أو أعادوا ما ألغاه الشريف، ما أورده بوركهارت، الذي زار مكة سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م (أي بعد سنوات عدة من زوال الحكم السعودي عن مكة)، من ملحوظات في هذا المجال حيث قال: "قام السعوديون بتدمير كل المباني المقامة على هذه المواضع (الأضرحة) أو حطموا قبابها على أقل تقدير".

كما ذكر أن الدولة العثمانية أرسلت عددًا من الحرفيين والعمال "لإصلاح وإعادة ترميم ما حطمه السلفيون من قباب منصوبة على مقابر الأولياء"(١٢٨). ولم تخبرنا المصادر عن أيٍ تغييرات معمارية داخل المسجد الحرام سواء كان ذلك إزالة أو إضافةً باستثناء ما أورده ابن بشر من مشاهداته عندما كان حاجًا سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م، حيث ذكر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز أمر بكشف القبة التي فوق مقام إبراهيم، "وصارت الصخرة والقدمان الشريفان بارزتين، ورآها الناس من أهل مكة وغيرها"(١٢٩). ومع أن السعوديين اهتموا بتوحيد

---

(١٢٧) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، ج٣، ص١١٧.

(١٢٨) جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٥٩-١٦٠.

(١٢٩) للمزيد من المعلومات، انظر: ابن بشر، ج١، ص٣١٥-٣١٦، ولوصف البناء المقام على مقام إبراهيم قبل أن يكشف، انظر:

Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 80.

الصلاة خلف إمام واحد، إلا أنه لم يرد ذكر لأي تغيير في المقامات الأربعة المقامة حول الكعبة ويبدو أن أماكنها بقيت على حالها من غير تفعيل لأنشطتها.

وفي أول موسم حج للسعوديين بعد الصلح مع الشريف غالب سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، قام الإمام سعود بن عبدالعزيز بسلسلة من الإجراءات الإدارية للقضاء على ما تبقى للدولة العثمانية من تمثيل في مكة، حيث أخرج من كان بها من الأتراك والقوات العثمانية "عسكر الروم"، كما أمر بإخراج القاضي العثماني، وعين قضاةً آخرين من أهل مكة(١٣٠)، مثل الشيخ عبدالحفيظ عجيمي(١٣١)، أو من علماء الدعوة أمثال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر والشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب(١٣٢)

(١٣٠) ابن بشر، ج١، ص ٢٩٤، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٩٤-٢٩٥.

Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 125 .

(١٣١) هو الشيخ عبدالحفيظ بن درويش عجيمي، ولد بمكة وأخذ عن علمائها. تولى القضاء بمكة سنة ١٢٢١هـ، كما تولى الإفتاء واشتهر بعلمه حتى إنه لقب أبا حنيفة الصغير، وقد توفي بمكة سنة ١٢٤٦هـ. انظر: عبدالله مرداد أبو الخير، المختصر من كتاب نشر النور والزهر، ج١، ص١٨٩-١٩٠.

(١٣٢) هو الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية سنة ١٢٠٠هـ، وتعلم بها وانقطع للعلم. عينه الإمام سعود بن عبدالعزيز قاضيًا في مكة، ثم رجع إلى الدرعية، وعمل قاضيًا بها حتى قُتل على يد قوات إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ. انظر: عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج٢، ص٢٤١-٢٤٩.

والشيخ عبدالرحمن بن حسن[١٣٣].

وفي مجال نشر الدعوة اهتم السعوديون بإيصال مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الخارج، وركزوا نشاطهم على أقطار الدولة العثمانية، أما المغرب العربي فقد كان موسم الحج الفرصة التي مكنت الحجاج من اللقاء بالسعوديين ومناقشتهم بل والاطلاع على أدبيات دعوتهم. وقد ذكرت المصادر أن الحجاج المغاربة سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٣م عادوا إلى المغرب بأخبار الدعوة وأخبار الدعاية المناوئة للسعوديين، بالإضافة إلى بعض الوثائق المكتوبة التي تشرح مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١٣٤].

ومن غير أن يرسل أئمة الدولة السعودية رسائل خاصة إلى سلطان المغرب وصلت أدبيات دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى هناك بطرق غير مباشرة سواء كان ذلك عن طريق الحجاج المغاربة أو عن طريق علماء تونس. وقد اطلع

---

(١٣٣) هو الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ، ودرس بها على جده وغيره من العلماء. عمل قاضيًا في الدرعية، وبعد أن تم الاستيلاء على مكة عينه الإمام سعود قاضيًا بها. حضر معركة وادي الصفراء، وبعد سقوط الدرعية أخذ إلى مصر، وبقي بها حتى سنة ١٢٤١هـ حيث عاد إلى نجد، وتبوأ مركزًا شبيهًا بمركز جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى توفي سنة ١٢٨٥هـ. انظر: الشيخ عبدالرحمن بن حسن، المقامات، دراسة وتحقيق عبدالله بن محمد المطوع، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ، ص١٥-٢٤.

(١٣٤) محمد المنصور، الحركة الوهابية وردود الفعل المغربية عند بداية القرن التاسع عشر، ص ١٧٨-١٧٩. ومحمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار، ص٢٣١-٢٣٣.

سلطان المغرب "مولاي سليمان" على رسالتين وردتا من الحجاز سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، وإن كانتا لم توجها إليه شخصيًا، فاستشار علماءه، وكما ذكرت بعض المصادر أمر أحد علمائه بالرد، فرد ردًا يعبر عن أفكار السلطان نفسه، بل وذهب إلى نظم قصيدة ميمية امتدح فيها الإمام سعود بن عبدالعزيز:

سعود بعد سلام الله شاعك من … غرب يسير لشرق ضائع النسم
هذا كتاب إليك من محب أتى … إذ ما تأتى له الإتيان بالقدم
وأنه من سليمان وأنه باسـ … ـم الله لا زلت باسم الله أي سمي
إن قمت فينا بأمر لم يقم أحد … به فجوزيت ما يجزاه ذو نعم
حتى جرى الماء في عود الحجاز لان … طلعت سعد سعود غير ملتئم
لا شيء يمنع من حج ومعتمر … وزورة تكمل المأمول من حرم
قد لاح فيه سعود ما حيا بدعا … قد أحدثتها ملوك العرب والعجم(١٣٥)

كان موقف معظم علماء المغرب معارضًا للدعوة، أما الموقف الشخصي للسلطان سليمان فقد كان مخالفًا لرأيهم حيث أبدى موقفًا إيجابيًا تجاهها؛ الأمر الذي أقنع بعض العلماء بالتراجع عن آرائهم وانتقاداتهم لتلك الدعوة. وفي تلك الأثناء أقدم سلطان المغرب على عدد من الإجراءات المتشددة ضد بعض الطرق الصوفية، وقد فسره البعض بأنه تأثر بأفكار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب(١٣٦).

---

(١٣٥) محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي، ص٢٨٩-٢٩٠.

(١٣٦) محمد المنصور، الحركة الوهابية وردود الفعل المغربية عند بداية القرن التاسع عشر، ص١٨٣-١٨٤، ومحمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار، ص٢٣٠-٢٣٢.

وأخيرًا تبلور موقف السلطان سليمان، وأرسل بعثةً رسميةً برئاسة ابنه إبراهيم في سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م ومعه جماعة من العلماء لأداء فريضة الحج، وحمله رسالةً إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز. التقت البعثة بذلك الإمام، وقرئت الرسالة التي توضح موقفه من الدعوة، كما عبر فيها عن نواياه الحسنة تجاهها، وأشاد بطابعها الإصلاحي، إلا أنه في الوقت نفسه أبدى تحفظًا تجاه بعض الأمور العقدية(١٣٧).

وعلى المستوى المحلي حرص الإمام سعود بن عبدالعزيز على نشر الفكر السلفي بين فئات المجتمع المكي، ومع أهمية هذا الجانب الذي ترتكز عليه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إلا أننا نجهل آلية ذلك العمل باستثناء بعض الإشارات مثلما ورد في رواية ابن عبدالشكور حول الأمر بتدريس كتاب كشف الشبهات في المسجد الحرام.

من ناحية أخرى أورد المؤرخ اليمني لطف الله جحاف في حوادث سنة ١٢٢٣هـ خبر قدوم وفد سعودي إلى اليمن ومكوثه بها أكثر من ستة أشهر، وكان من بين أعضائه عالمان وردت إليهما بعض الرسائل التي قدر لهذا المؤرخ أن يطلع عليها، وينقل لنا نماذج منها(١٣٨). زخرت تلك الرسائل

(١٣٧) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، انظر: محمد المنصور، الحركة الوهابية وردود الفعل المغربية عند بداية القرن التاسع عشر، ص١٧٩-١٩٠، ومحمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار، ص٢٣٨-٢٤٠.

(١٣٨) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧١١.

بمعلومات متفرقة، ولكن ما يهمنا هنا هو ما ورد بها من أخبار حول الإدارة الدينية لمكة وعلاقة الشريف غالب مع علماء الدرعية. ومما يمكن استنتاجه من هذه الرسائل أن علماء الدرعية كانوا يعملون على شكل مجموعات، ويرأس كل مجموعة عالم أو عالمان ومزودة بفرقة حراسة صغيرة يختلف عددها حسب الحاجة. ويبدو أن فرق الحراسة هذه ترافق المجموعات العلمية بشكل دائم، ولكن من المؤكد أن الدولة توفر هذه الحماية عندما ترى ضرورة لذلك. وكان من أهم هذه المجموعات العلمية مجموعة الشيخ عبدالرحمن بن حسن في مكة المكرمة، ويرافقه فرقة حراسة، أو كما ورد في إحدى الرسائل: "وعبدالرحمن بن حسن مطوع في مكة... والذي مع عبدالرحمن بن حسن: عبدالله بن صقر ورجاجيله"(١٣٩). ومما لا شك فيه أن مرابطة مثل هذه القوة تسهل أمر المجموعة في تحركاتها وتنقلاتها، وتعزز من هيبتها، وتوفر لها الحماية اللازمة لعقد دروسهم العلمية. كما تجعل موقف الشريف غالب أكثر تقبلاً وتحملاً لهم ولوجودهم في مكة، وهو ما عبرت عنه هذه الرسائل: "كذلك نخبرك أن ممشا (الصواب ممشى، والمقصود سيرة) الشريف زين (أي جيد)، قال لعبدالرحمن بن حسن يوم واجهه (أي قابله) ترا (أي إن أو اعلم أن) مكة تحت يدك، لا ترفع لي

(١٣٩) مطوع أي قائم بأمر الدعوة، ورجاجيله أي رجاله، والمقصود هنا أن الشيخ عبدالرحمن بن حسن كان يعمل في نشر الدعوة ومعه قوة حراسة بقيادة عبدالله بن صقر، انظر نص الرسالة في: لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧١٢.

رأس، ما شفت (أي ما رأيت) تغيره فغيره"، أو كما ورد في رسالة أخرى: "ترا عصاك سيفًا أفعل ما ترا ولا تخشى أحدًا"[١٤٠]. وهكذا نرى وجهًا من أوجه التعامل بين الشريف غالب والسعوديين في الجوانب الدينية، حيث أعطى لعلماء الدعوة حرية تغيير ما يرون تغييره.

إن ما ورد من عبارات تودد ومجاملة في لقاءات الشريف غالب مع السعوديين يجب ألا تفهم على أنها تعكس قناعاته الشخصية أو سياسته الحقيقية بقدر ما هي أسلوب مرحلي أملته الظروف السياسية. وكما أوضحت سابقًا فإن الشريف غالب لم يستطع أن يصمد أمام القوة العسكرية السعودية، ولم تصله إمدادات من الدولة العثمانية، لذا رأى أن أنسب السبل هو الصلح الذي يحفظ له بعضًا من سلطته، حتى لو اقتضى الأمر التظاهر باعتناق مباديء الدعوة الإصلاحية[١٤١]. وكما يعلم الشريف غالب أن من بين أسباب توسع الدولة السعودية وسيطرتها على معظم أرجاء الجزيرة العربية أنها دولة دعوية تهتم بنشر فكرها السلفي، لذا تنازل لهم كثيرًا في هذا الجانب، مما عزز إدارتهم الدينية لمكة، ومع هذا كله فإنه اتخذ بعض القرارات المخالفة كما حصل في سنة ١٢٢٣هـ عندما أخرج الجماعات الدعوية من مكة وجدة. وفي المقابل كانت ردة الفعل السعودية قوية حيث أرسل الإمام سعود بن عبدالعزيز العالمين عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب

---

(١٤٠) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧١٢.

(١٤١) هارفرد جونز بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ص١٠٦.

وعبدالرحمن بن نامي تصحبهما قوة من ثلاث مئة رجل، "فتلقاهم الشريف غالب، وأجلهم، وأنزلهم بدوره على غيظ وضيم، فتعللوه وأرادوا اختباره، فألزموه حضور قراءة الأصول والقواعد، توطأ لهم، واعتذر عن حضور الدروس. وأقام عن حضوره وكيله محمد العطاس"(١٤٢). وبهذا طأطأ الشريف غالب رأسه، ولكنه لم يغير من قناعاته، وانتظر الفرصة لاستعادة سلطته، فهو رجل سياسة أولاً وقبل كل شيء ينظر إلى الأمور بدهاء كما يتضح ذلك عندما جاءه البشير ببشارة كاذبة حول قدوم حملة عثمانية عسكرية، ومع أنه سيكون سعيدًا لو كان الخبر صحيحًا، إلا أنه أمر بجلد ناقل الخبر؛ لكي يخفي سروره عن السعوديين(١٤٣).

---

(١٤٢) هو شيخ السادة محمد بن محسن العطاس، وهو صهر الشريف غالب بن مساعد، وقد زار الدرعية في زمن الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م مرافقًا للشيخ حمد بن ناصر بن معمر في طريق عودته بعد مقابلة الشريف غالب في جدة، وبصفته كذلك مندوبًا يحمل رسائل إلى حكام الدرعية. وعند قدوم القوات العثمانية إلى القصيم سعى في الصلح بين الإمام عبدالله بن سعود وطوسون باشا. انظر: الشيخ عبدالرحمن بن حسن، المقامات، دراسة وتحقيق عبدالله بن محمد المطوع، ص١١٩، وفيلكس مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي، ص٧٠، وأحمد السباعي، تأريخ مكة، ج٢، ص٥٦٨، ولطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧٤٩.

Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 93.

(١٤٣) للمزيد من التفاصيل، انظر: لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧٤٩.

أما بالنسبة لكسوة الكعبة المشرفة[١٤٤] في ظل الإدارة السعودية لمكة فقد ابتدأت مع الفترة الثانية من حكمهم؛ نظرًا لأن المدة الأولى قصيرة جدًا، وليس فيها أشهر الحج. وغني عن القول فإن كسوة الكعبة المشرفة أمر ديني وسيادي في الوقت نفسه يرفع من مقام وجاه الدولة الكاسية في نظر ملايين المسلمين، لذا اهتم الإمام سعود بأمر الكسوة، ففي كل عام يتوج وجوده في مكة بهذا الشرف العظيم ألا وهو إلباس الكعبة كسوتها الجديدة. وقد كانت أول كسوة سعودية أمر بها الإمام سعود بن عبدالعزيز تمت في موسمٍ حج سنة ١٢٢١هـ، حيث "كسا الكعبة المشرفة كسوة فاخرة من القز الأحمر"[١٤٥]. ومن المعلوم أن ذلك هو العام الذي منع فيه الإمام سعود وصول المحمل المصري والشامي، ولذا لم تصل كسوة الكعبة كالمعتاد من مصر، فأمر الإمام سعود بكسوتها، ولكن المصادر لم تخبرنا أين وكيف تم إنجازها؟.

ومما يلحظ أنه في ذلك العام الذي كسا فيه السعوديون الكعبة أن علي بك عندما تحدث عن مشاركته في غسيل الكعبة يوم ٢٠ ذي القعدة بجانب الشريف غالب ومن معه من شيوخ القبائل وغيرهم لم يذكر لنا حضور أي مسؤول سعودي في تلك المناسبة المهمة. ولكن ذلك الغياب يمكن تفسيره بأن

---

(١٤٤) عن كسوة الكعبة المشرفة عبر العصور، انظر: السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، (د. م)، ط١، ١٤٠٦هـ، ص١٧-١٢٣، وناصر بن علي الحارثي، كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك عبدالعزيز، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤٢٦هـ، ص١٥-٢٢.

(١٤٥) ابن بشر، ج١، ص٢٩٢.

وصول الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى مكة كان بعد خمسة أيام من ذلك الحدث أي في يوم ٢٥ ذي القعدة. كما تحدث كثيرًا عن الكعبة وأجزائها من الداخل والخارج ووصف كسوة الكعبة أو ثوب الكعبة كما يسميه، وذكر أن لونه أسود. كما أشار إلى عادة قص الجزء الأسفل من الكسوة يوم ٢٥ ذي القعدة، وأنها تلبس كسوتها الجديدة يوم العيد، ومع أنه حج وأكمل حجه إلا أنه لم يذكر شيئًا حول تغيير كسوة الكعبة(١٤٦). ومما لا شك فيه أن عادة غسيل الكعبة لم تنقطع في عهد الإدارة السعودية، إلا أنه نظرًا لأن الإمام سعود بن عبدالعزيز يتخذ من عاصمته الدرعية سكنًا له، ويتأخر وصوله إلى مكة في موسم الحج فقد يوكل بهذه المهمة شخصًا آخر. وفي ظل هذه الظروف فإن الشريف غالب كان يقوم بهذه المهمة، وربما أن الإمام سعود بن عبدالعزيز هدف من وراء ذلك إلى إعطاء نوع من الأهمية ورد الاعتبار للشريف غالب. ومن الإشارات القليلة في المصادر يمكننا استنتاج أن مناسبة غسيل الكعبة يتولاها الشريف غالب، في حين يتولى الإمام سعود بن عبدالعزيز كسوة الكعبة.

استمر السعوديون في كسوتهم للكعبة مدة بقائهم في مكة، وأدخلوا في كسوتها بعض التعديلات، إذ ذكر ابن بشر أنها كُسيت في الأعوام التالية بالقيلان الأسود الفاخر وجُعل

(١٤٦) للمزيد من التفاصيل حول هذه المواضيع، انظر:
Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol .2, p. 51, 56-60, 73, 76-78.

إزارها وكسوة بابها حريرًا مطرزًا بالذهب والفضة، وفي بعض الأحيان تكون كسوة الباب من الحرير الأحمر[١٤٧].

ومن الأمور التي لم تذكرها المصادر حول كسوة الكعبة أو لم نجد إجابة لها هو: كيف وأين صنعت (كما ذكرنا سابقًا)، وما عليها من نقوش وكتابات، وهل تحمل اسم الحاكم؟ ثم كيف توضع على الكعبة؟ وهل يكون ذلك في حفل بحضور الإمام سعود؟ أم بحضور الشريف غالب؟ أم كليهما؟ ومما قد يجيب على جانب من هذه التساؤلات ما ذكره جحاف في وصف حج سنة ١٢٢٣هـ حيث قال: "ولما نزل سعود إلى البيت أمر بنزع كسوته، وكسا الكعبة عباءة حساوي قيلانية"[١٤٨]. والحقيقة أن هذه الرواية معقولة جدًا؛ لأن الأحساء جزء من دولة الإمام سعود، بالإضافة إلى أنها مشهورة بالحياكة وصناعة النسيج الجيد، ولهذا فلا يستغرب أن يكرم الإمام، بل ويشرف أهالي تلك المنطقة بصناعة كسوة الكعبة المشرفة.

أورد علي بك بعض مشاهداته للكعبة من الداخل وما بها من محتويات مثل البلاط الرخامي لأرضيتها والأطراف السفلى من جدرانها، والعمودان اللذان يحملان سقف الكعبة وما بينهما من قضبان - قيل إنها من الفضة - علق عليها أعداد كبيرة من المصابيح... وفيما يخص الكسوة ذكر بأن العمودين وجدران الكعبة مغطاة من الأعلى حتى ارتفاع خمسة أقدام عن أرضية الكعبة بكسوة من حرير وردي اللون

---

(١٤٧) انظر: ابن بشر، ج١، ص٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٠.

(١٤٨) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧٥٣.

يتخلله تطريزات فضية. وبخلاف الكسوة الخارجية فإن هذه الكسوة الداخلية لا تغير كل عام(١٤٩)، بل إنها من واجبات السلاطين العثمانيين حيث يجب على السلطان العثماني عندما يتسنم السلطة أن يرسل كسوة جديدة لداخل الكعبة(١٥٠)، وهذا هو الوقت الوحيد الذي تُغير فيه الكسوة الداخلية للكعبة. والحقيقة أننا لا ندري ما إذا كان السعوديون قد أدخلوا أي نوع من التغييرات على هذه الممارسات أثناء فترة إدارتهم لمكة، فلم يرد لها ذكر في المصادر المحلية. ولكن الرحالة بوركهارت الذي حج بعد خروج الحجاز عن سيطرة السعوديين ودخل الكعبة مرتين: الأولى في ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٣٠هـ، والأخرى في ١٠ المحرم من السنة التالية. لحظ بوركهارت تغير الستائر الداخلية أو الكسوة الداخلية للكعبة حيث غير كسوتها محمد علي، والي مصر، أما الكسوة القديمة التي ظلت معلقة لمدة عشرين عامًا، فهي تقطع وتباع في دكان عند باب السلام، وهي أغلى ثمنًا من قطع الكسوة الخارجية(١٥١)، والشاهد الذي يمكن

---

(١٤٩) بعكس الكسوة الخارجية للكعبة التي تغير كل عام وأحيانًا مرتين أو ثلاث في العام الواحد، فإن الكسوة الداخلية لا تغير إلا على فترات متباعدة جدًا أو بمناسبة تولي ملك أو سلطان عرش دولته، انظر: السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص٥١-٥٩.

(١٥٠) للمزيد من المعلومات، انظر:

Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 76-77 .

وقارن ذلك بما ورد عند بوركهارت من أوصاف للكعبة، انظر: جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٦٥-١٦٦.

(١٥١) جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٦٦-١٦٧.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الأول المحرم ١٤٢٩هـ السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

استنتاجه هنا هو أن السعوديين لم يغيروا الكسوة الداخلية للكعبة أثناء مدة إدارتهم لمكة. بالإضافة إلى ذلك فإن السعوديين لم يتعرضوا لأي من مقتنيات الكعبة من الهدايا وقد كان من بينها بعض المصابيح المصنوعة من الذهب الخالص[١٥٢].

من ناحية أخرى فإن تنازلات الشريف غالب لم تقتصر على مكة، بل نجده كذلك قد اضطر إلى إعطاء بعض التنازلات الشكلية في جدة بحيث لا تؤثر كثيرًا في سيادته مبتدأً بنفسه، فأبطل عادة ضرب النوبة التي كانت تؤديها فرقة موسيقية تعزف أمام قصر الشريف أو الوالي كل ليلة في وقت محدد بعد صلاة العشاء[١٥٣]. كما سمح للشيخ حمد بن ناصر بن معمر أثناء وجوده في جدة بإلقاء موعظة حول التوحيد في مسجد عكاش[١٥٤]، وأصدر أوامره بمنع بيع وشرب الدخان وحضور صلاة الجماعة وهدم القباب الموجودة في جدة. وكما أشرنا سابقًا فإن المصادر تحدثت عن إصرار الشريف غالب على عدم دخول السعوديين جدة[١٥٥]، إلا أن نماذج الرسائل السعودية التي نقلها جحاف

---

(١٥٢) المصدر نفسه، ص١٦٦.

(١٥٣) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر وبعض القرون الماضية، القاهرة: مطبعة المدني، ط١، ١٤١٠هـ، ج٣، ص١٥٨.

(١٥٤) مسجد عكاش أو عكاشة مسجد قديم ومشهور يقع في قلب جدة، وقد جدد بناءه عكاشة أباظة فنسب إليه. وللمسجد أوقاف ويتولى شؤونه في الوقت الحاضر أسرة آل الهزاز بجدة. للمزيد من المعلومات انظر: محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر وبعض القرون الماضية، ج٣، ص١٦١، ١٧٨-١٧٩.

(١٥٥) انظر الإدارة السياسية من هذا البحث.

أشارت إلى خلاف ذلك، حيث ذكرت أن سليمان بن عبدالله وإبراهيم بن حسن(١٥٦) يقومان بأمر الدعوة في جدة. كما أورد خبر إخراج "جماعة المطوعة" من جدة ومكة على يد الشريف غالب(١٥٧). وبغض النظر عن المقصود بهذه الجماعة سواء كان هذين العالمين أم غيرهما فإن الأهم من ذلك هو أن نشاط السعوديين الدعوي لم يقتصر على مكة.

## ثالثًا: الإدارة الاجتماعية

عانى المجتمع المكي كثيرًا إبان سنوات الحرب وما صاحبها من حصار اقتصادي وغلاء في الأسعار، صاحبه في بعض الأحيان قحط كما أشرنا إلى ذلك سابقًا. وفي الوقت الذي شح فيه الطعام في مكة أثناء الحصار، لم يتمكن السعوديون من توفير الطعام لجيشهم فحسب، بل ولمن جاء إلى معسكراتهم من سكان مكة. وكانت النتيجة المباشرة لتوقف الإمدادات إلى مكة أن نزح الآلاف من سكانها إلى جدة؛ مما تسبب في مضايقة وتضجر سكانها، وقد لامهم وانتقدهم ابن عبدالشكور على ذلك الموقف السلبي(١٥٨).

أدرك الأمير سعود بن عبدالعزيز ما لحق بالمجتمع المكي من ضرر حتى قبل أن يدخل مكة في المرة الأولى، فأراد أن يهدئ

---

(١٥٦) هو الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (سبقت ترجمته)، أما إبراهيم بن حسن فلم أعثر له على ترجمة، انظر: لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧١١-٧١٢.

(١٥٧) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص ٧٤٩، كما ذكر علي بك وجود قاضي سعودي في جدة، انظر:
Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 142.

(١٥٨) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٣٠-٥٣١.

من روعهم، وأن يطمئنهم؛ ولذا أرسل كتاب الأمان ليقرأ على الناس في المسجد الحرام. كما شدد الأمير سعود بن عبدالعزيز على جيشه أثناء دخول مكة بالانضباط التام وعدم التعرض للناس، حيث كان دخولاً سلميًا خاليًا من مظاهر السلاح ومجللاً بلباس الإحرام الذي يرتديه أفراد الجيش. وللتخفيف من معاناة سكان مكة ومجاوري بيت الله الحرام وزع الأمير سعود بن عبدالعزيز الكثير من الصدقات والعطايا بين الناس، كما أمر بنحر مئة من الإبل؛ ليوزع لحمها على فقراء مكة(١٥٩).

أما في المرة الثانية فبعد أن تم عقد الصلح بين الطرفين قدم الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى مكة ليشرف على موسم حج سنة ١٢٢١هـ، وقد أكد على أفراد جيشه الانضباط. كان الرحالة علي بك شاهد عيان على تلك العملية، ومما رآه أن أفراد الجيش السعودي كانوا منضبطين بشكل كبير أثناء دخولهم المسجد الحرام لأداء العمرة، كما أثنى على أمانتهم ودفعهم نقدًا ثمن ما يشترونه أو مقابل ما يقدم لهم من خدمات، ولأن كثيرًا منهم لم يكن يحمل نقودًا؛ لذا كانوا يعطون مقابل ذلك أشياء عينية حتى ولو حبيبات من القهوة(١٦٠).

---

(١٥٩) انظر رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حول دخول مكة، ص ٤، وابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٤٩، وابن بشر، ج١، ص٢٦٣.

(١٦٠) انظر:

Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol . 2, pp. 60-62

هارفرد جونز بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ص١٠٥.

وفي الوقت نفسه لم ينس الأمير سعود بن عبدالعزيز نشر الفضيلة وتوجيه المجتمع المكي نحو الاعتقاد الصحيح، فقد ذكر الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أن السلطات السعودية قامت بإعداد رسالة قصيرة مستوحاة من رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب المؤلفة في التوحيد وُجهت للعوام من أهل مكة بهدف نشرها في مجالسهم وتدريسها في محافلهم(١٦١). كما أمر رجاله بتدوين أسماء أصحاب الشيش، أو كما يسميها البعض النارجيلات، وغيرها من آلات اللهو والأوتار الموسيقية حيث أمر بجمعها وإحراقها(١٦٢). كان هذا أثناء مدة الحكم السعودي الأول لمكة، ولابد أن مبدأ إصرار السعوديين على الالتزام بهذا النهج الاجتماعي تواصل كذلك في المدة الثانية(١٦٣).

إن تطبيق مثل هذه التعليمات ذات العلاقة بجميع فئات المجتمع المكي يحتاج إلى مؤسسة تهتم بمثل هذه الأمور لتراقب المخالفات، وتتأكد من الالتزام بالتعليمات، وهنا يأتي دور رجال الحسبة. والحقيقة أننا لا نعلم وضع الحسبة في

---

(١٦١) انظر رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حول دخول مكة، ص ٤، وللمزيد من المعلومات، انظر نص الرسالة كاملة في ص٥-١٦.

(١٦٢) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٤٥٥، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٧٩.

(١٦٣) ذكر الجبرتي نقلاً عن الحجاج المغاربة في موسم حج سنة ١٢٢١هـ أن السعوديين أبطلوا شرب التنباك والنارجيلة من الأسواق وكذلك منطقة المسعى بين الصفا والمروة. انظر: عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، ج٣، ص١٨٩.

مكة قبل قدوم السعوديين إليها، ولكن من المؤكد أن دورها تعزز كثيرًا أثناء مدة الإدارة السعودية لمكة. لحظ علي بك أن السعوديين لم يكتفوا بالأذان للصلاة، بل أوجدوا في جدة منادين شعبيين (Public criers) يأمرون الناس بالذهاب إلى المسجد. يخرج هؤلاء الرجال في الشوارع عند أوقات الصلاة، وينادون: "الصلاة... الصلاة"، ويجبرون كل من هو أمامهم بالتوجه إلى المسجد حتى العمال وأصحاب الحوانيت. يبدأ هؤلاء الرجال عملهم قبل الفجر، ويحدثون جلبةً كبيرةً في الشوارع، حيث يجبرون كل فرد على الاستيقاظ والتوجه إلى المسجد. يرتدي هؤلاء الرجال زيًا بسيطًا يتكون من سروال أبيض وقطعة قماش بيضاء مطوية يجعلونها فوق أكتافهم، ويحمل كل واحد منهم عصًا غليضة. لم يلحظ علي بك وجود هؤلاء المنادين عندما كان في مكة، وقد أُكد له أنه تم استقدامهم كذلك إلى مكة ولكنهم، بحسب رأيه، أكثر اعتدالاً من نظرائهم في جدة(١٦٤). وهكذا يفهم من رواية علي بك أنه لم يكن لهؤلاء المنادين وجود في مكة عندما كان بها، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن السعوديين لم يستحدثوا ذلك الإجراء بعد، أو لأن وجوده في مكة كان أثناء موسم الحج، ولذا لم يلحظ وجودهم نظرًا لكثرة الناس.

وفي مجال الحسبة ركز ابن بشر في وصفه لحجات الإمام سعود على انتشار رجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لضبط الآداب الاجتماعية والاهتمام بالصلاة، أو كما قال: "فلا يشرب التنباك في أسواقها، وأمر سعود أن يجعل في

(164) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 143.

أسواقها من يأمرهم بالصلاة إذا دخل الوقت، فكان إذا أذن دار النواب في الأسواق: الصلاة... الصلاة"(١٦٥).

وفي مجال الحياة العامة وعلاقة الحاكم بالمحكوم أورد الجبرتي بعض الملحوظات التي تحسب للإدارة السعودية في مكة فقد أبطل السعوديون المكوس والمظالم التي كانت منتشرة في المجتمع المكي، فقد كانت السلطات السابقة تفرض أنواعًا من الضرائب، ومنها أن الميت لا يدفن، بل لا يقترب منه المغسل حتى يدفع أهله ما بين خمسة إلى عشرة ريالات فرانسة(١٦٦). كما سنوا ضرائب أخرى على المبيعات والمشتروات، بل إنهم في بعض الأحيان يصادرون أموال وممتلكات الناس، فمثلاً إذا أرادوا مصادرة دار في مكة أرسلوا إلى صاحبها، وقالوا: "إن سيد الجميع محتاج إليها، فأما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف، وأما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر فعاهده (أي أن الشريف غالب عاهد الإمام سعود) على ترك ذلك كله"(١٦٧).

من ناحية أخرى فإن ما قام به السعوديون من إجراءات ذات طابع سياسي أو ديني كان لها انعكاسات اجتماعية واقتصادية على مجتمع مكة. وأبرز مثال على ذلك تلك المباني المقامة على الأضرحة وغيرها من الأماكن والجبال

---

(١٦٥) ابن بشر، ج١، ص٢٩٦، ٣١٥.

(١٦٦) الفرانسة ومفردها فرانسي، عملة نمساوية كانت منتشرةً في الجزيرة العربية ومناطق من شرق أفريقيا، وبقيت في التداول حتى عهد الملك عبدالعزيز، واسمها الصحيح دولار ماريا تريزا.

(١٦٧) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، ج٣، ص١١٦.

التي يزورها الناس وبخاصة أولئك الحجاج القادمون من خارج الجزيرة العربية. وقد نتج عن تلك الممارسات التي تراكمت عبر القرون ما يمكن تسميته صناعة سياحية دينية ارتبطت بها مصالح وحياة مجموعات من سكان مكة بدءًا بنظار تلك المزارات ومرورًا بذلك العدد الكبير ممن يعمل على خدمة هذه الأماكن وتزوير الناس. "وفي كل ركن من أركان هذه المباني تنتشر المناديل والسجاجيد المبسوطة، حيث يتوقع باسطوها أن يقوم الزوار بنثر بعض المال عليها، وتحف النسوة ببوابات هذه المباني، حيث يجلسن ليلتمسن الصدقة من الحجاج"[١٦٨]، وقد توقفت كل هذه الأعمال أثناء فترة الإدارة السعودية لمكة، حيث لم يعد الزائرون يترددون على هذه الأماكن مما ألحق أضرارًا كبيرة بحياة تلك الشرائح من المجتمع المكي التي تعتمد في معيشتها على ما تكسبه من عملها في تلك الأماكن. لقد حرص السعوديون على تنفيذ رؤيتهم تجاه المزارات، ليس بهدم ما رأوا أنه مخالف للشرع فحسب، بل إنهم عملوا على منع زيارة تلك الأماكن حتى لو اقتضى الأمر وضع حراس عليها، مثلما لحظ علي بك عند مروره بجبل النور حيث قال: إن السعوديين هدموا مسجدًا بأعلى الجبل، ووضعوا حراسًا عند قاع الجبل لمنع الناس من الصعود[١٦٩].

(١٦٨) جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٦١، وللمزيد من المعلومات، انظر: الصفحات ١٦٠-١٦٤. وانظر:

Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 93.

(169) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 64.

كانت مكة المكرمة أكبر مدينة في الحجاز حيث قدر علي بك عدد سكانها قبل قدوم السعوديين إليها بأكثر من مئة ألف نسمة، قدره عند زيارته لمكة في موسم حج ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م ما بين ستة عشر ألفًا إلى ثمانية عشر ألف نسمة. كما شاهد أن بعض الحارات الخارجية خربة ومهجورةً تمامًا، في حين أن ما تبقى من البيوت لم يسكن منها إلا الثلث وهو في حالة خربة، أما الثلثان الآخران فقد هجرهما أهلها(١٧٠).

وفي ميدان العادات الاجتماعية شهد المجتمع المكي بعض التغيرات التي استحدثها السعوديون أثناء سنوات إدارتهم لمكة وهي في الأساس تنطلق من نظرتهم لما يجب أن يكون عليه المجتمع المسلم، ومنها ما ذكرته بعض المصادر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز أمر مناديه أن ينادي في الناس بعد انقضاء موسم حج سنة ١٢٢١هـ "أن لا يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن"(١٧١)، وكان من أهم العادات التي أوقف السعوديون ممارستها، على الأقل علانية، عادة شرب الدخان والشيشة. وقد أشار لطف الله جحاف إلى أن السعوديين لم يكتفوا بذلك، بل خربوا الخانات التي

---

(١٧٠) وللمقارنة فإن علي بك قدر سكان جدة بحوالي خمسة آلاف، في حين قدره بوركهارت ما بين اثني عشر ألفًا إلى خمسة عشر ألفًا، وإذا أخذنا المتوسط بين الروايتين فإن عدد سكان مكة يبلغ أكثر من عشرة أضعاف سكان جدة، انظر:

Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, pp. 43, 103-104.

جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٢٥.

(١٧١) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، ج٣، ص١٩٣.

بالمسعى[١٧٢]، ويبدو أن المقصود بها المقاهي التي لا تقتصر الخدمة فيها على القهوة، وإنما كما في أغلب الأحيان تقترن بالدخان والشيشة. بالإضافة إلى ذلك فقد أراد الإمام سعود بن عبدالعزيز أن ينضبط المجتمع المكي ويسوده الأمن والاستقرار، ولذا منع حمل السلاح في مكة[١٧٣].

ومن العادات المكية في ذلك الزمان عادة زيارة النساء للكعبة قبل غسيلها، فقد انفرد علي بك بذكر أن الكعبة تفتح في اليوم الخامس عشر من ذي القعدة، ويخصص اليوم الأول للرجال ويخصص اليوم الثاني للنساء، في حين تخصص الأيام الخمسة التالية لغسيل الكعبة وتنظيفها[١٧٤]. أما المصادر المحلية فلم تذكر شيئًا عن مثل هذه الأمور أثناء مدة الإدارة السعودية.

وفي مجال النظافة العامة للمدينة ذكر ابن عبدالشكور معلومة مهمة في وصفه للجيش السعودي عند دخوله مكة في موسم حج سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م، والحقيقة أنها جديرة بالمناقشة حتى وإن كان هدفه من إيرادها الحط من شأنهم والتندر بهم، حيث قال: "ومن أعجب الاتفاق والاعتناء بجيران بيت الله الحرام أن مدة إقامة الوهابيين بهذا البلد الأمين، كانوا هم الفعلة والجمال الذين يحملون لأهلها الأثقال، وهم الذين يستفون (هكذا وردت في المخطوط، والمقصود يستقون) لهم الماء، ويدورون به على جميع الأطلال،

---

(١٧٢) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥٢٨.

(١٧٣) ابن بشر، ج١، ص٣١٥.

(174) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, pp. 53-54.

وهم الذين يحتطبون لهم على أعناقهم...، وهم الذين يكنسون المزابل..."(١٧٥). وبغض النظر عن هدف ابن عبدالشكور من هذا الكلام، إلا أن مثل تلك الأعمال تدخل في مجال صحة المجتمع والخدمات العامة التي لا غنى عنها لأي مجتمع مدني، وهو أمر يحسب للسعوديين.

من ناحية أخرى، فإن المصادر لم تسعفنا لتكوين وجهة نظر أشمل حول هذا النوع من الخدمات إبان مدة الإدارة السعودية لمكة، وهل كانت مقتصرةً على تلك السنة أم استمرت في بقية السنوات؟ وبالرغم من أهمية العناية بصحة البيئة، إلا أن جحاف أورد ملحوظة حول موسم حج سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٩م قد تساعدنا في فهم هذه القضية، حيث قال: "وظهر على أتباع سعود الحاجة الماسة والفاقة؛ فإنهم ما زالوا يسألون بشوارع مكة"(١٧٦). ومثل هذا الكلام يوضح أن الحاجة هي سبب امتهان هذه الأعمال من قبل بعض الأفراد المحتاجين، وقد يكونون من أفراد الجيش أو غيرهم ممن يرى في موسم الحج فرصة مهمة لكسب المال، خاصةً وأن تلك السنوات كانت سنوات قحط(١٧٧). أما بالنسبة للأعمال الأخرى مثل كنس المزابل وما في حكمها فمن المعروف أن كثيرًا من القبائل العربية تأنفها بل وتمقتها، ويستوي في ذلك البادية والحاضرة، حتى ولو كانت مربحة،

(١٧٥) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٨١، وانظر: أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٩٢.

(١٧٦) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٧٥٣.

(١٧٧) ابن بشر، ج١، ص٢٨٥.

وذلك بحكم ما توارثوه من عادات وأعراف وتقاليد تمنعهم من القبول بمثل هذه الأعمال، ولذا فإن ممتهني هذه الأعمال لا بد أن يكونوا من بعض الفئات الاجتماعية التي لا ترى ضيرًا في امتهان مثل تلك الأعمال. بالإضافة إلى ذلك فلابد من القول: إن قدسية المكان تضيف بعدًا جديدًا يسمو على كثير من العادات والتقاليد، ألا وهو احتساب المرء للأجر والثواب في هذه البقعة المباركة التي تضاعف فيها الحسنات.

**رابعاً: الإدارة الاقتصادية**

ينطبق ما ذكرناه سابقًا عن الإدارة الاجتماعية على الإدارة الاقتصادية وهو أن كثيرًا من الإجراءات التي تمت من منطلق شرعي بحت كان لها انعكاسات اقتصادية. لكننا لو أردنا الحديث عن أبرز ما استحدثه السعوديون من إجراءات إدارية وأثر بشكل كبير على اقتصاديات المجتمع المكي لقلنا: إن توقف معظم حجاج الدولة العثمانية بسبب مشكلة المحمل، كما ألمحنا إلى ذلك سابقًا عند حديثنا عن الإدارة السياسية. والحقيقة أن اقتصاد الحج لا يقتصر تأثيره على سكان مكة فحسب، بل وعلى معظم مدن الحجاز وخاصةً جدة التي قدر بوركهارت عدد سكانها في تلك الفترة ما بين اثني عشر ألف إلى خمسة عشر ألف نسمة، ولكنه لحظ أن هذا العدد يزيد على الضعف في الأشهر التي تسبق موسم الحج وكذلك خلال أشهر الصيف التي تصادف وقت الرياح الموسمية، حيث تتدفق أعداد كبيرة من الغرباء على تلك المدينة(١٧٨). إذا كان

---

(١٧٨) جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٢٥.

هذا هو حال جدة التي ينصب جل استفادتها من الحجاج على الجانب التجاري عند مرورهم بها؟ فما بالك بمكة التي هي مقصدهم ومحط رحالهم وإقامتهم لأشهر عدة؟

اتسمت مكة منذ الأزل بفقرها في مواردها الطبيعية، ولكن عوضها الله عن ذلك بغناها في مواردها المعنوية التي اكتسبتها من قدسيتها. يتضح هذا الأمر جليًا عندما نرى عدد من يعمل في الحرم المكي في تلك الفترة من الزمن حيث قال علي بك: "ولهذا يمكن اعتبار نصف سكان مكة موظفين في الحرم، وليس لهم أدنى دخل سوى أجورهم التي يحصلون عليها من الأعمال الخيرية أو هدايا الحجاج العادية"(١٧٩). وهكذا نرى، إذًا، أن سكان مكة ينقسمون قسمين حسب مناشطهم الاقتصادية: قسم يعمل في خدمة الحرم، والقسم الآخر يعمل خارج الحرم، ومثلما هي الحال في جدة، فمن المؤكد أن مكة تشهد تدفق كثير من طلاب الرزق للعمل بها أثناء أشهر الحج كما هي الحال حتى أيامنا هذه.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف أدار السعوديون كل هذه المناشط الاقتصادية؟ أو بلفظ آخر: هل اختلفت نظرة حكومة مكة تجاه اقتصاد المدينة في العهد السعودي عما كانت عليه في السابق؟ والجواب في مجمله، سواء كان ذلك في المدتين الأولى أو الثانية من الحكم السعودي، أن الأمور لم تتغير كثيرًا باستثناء ما سنه السعوديون من تشريعات

(179) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, p. 92 .

دينية كانت ذات تأثير على اقتصاد مكة كما أشرت إلى ذلك سابقًا عند الحديث عن الجوانب الإدارية الأخرى. بالإضافة إلى ذلك فإن مدة الحكم السعودي الأول كانت قصيرة جدًا، حيث لم تتجاوز ثلاثة أشهر، وليس من بينها أشهر الحج المهمة لاقتصاد مكة، ولذا فإن أثرها على المجتمع كان محدودًا جدًا.

وفي المقابل فإن المدة الثانية استمرت قرابة سبع سنوات وقد وصل تأثير الإدارة السعودية إلى جميع شرائح المجتمع المكي. وباستثناء ما أبطله السعوديون من ضرائب ومكوس كانت تؤخذ من سكان مكة(١٨٠)، فمن غير المبالغة القول بأن السعوديين لم يتدخلوا كثيرًا في شؤون مكة الاقتصادية، فبقيت كثير من المناشط الاقتصادية من بيع وشراء وأعمال حرفية وخدمية تدار من قبل أهلها بالطريقة السابقة نفسها ما لم يكن في ذلك مخالفة للشرع. ومن ذلك مثلاً ما أوردناه سابقًا حول منع زيارة بعض الأماكن، أو ما أورده جحاف من "منع الزمازمة من السقي بالمال"(١٨١). أما بقية المناشط الأخرى فقد استمر المجتمع المكي يدير أموره مثلما كان عليه في السابق، فعندما حج علي بك تجول في مكة، ووصف أسواقها، وذكر أنه ليس بهذه المدينة ميدان مفتوح بسبب طبوغرافية وشح المكان، ولهذا تعقد أسواقها في الشوارع. كما تحدث عن اكتظاظ الأسواق بالمتبضعين، وأن البضائع متوفرة جدًا سواء منها ما يأتي من الداخل أو من الخارج

(١٨٠) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، ج ٣، ص١١٦.

(١٨١) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥٢٨.

مثل مصر والهند وفارس. بالإضافة إلى ذلك أورد قائمة بأسعار البضائع الرئيسة، خلال بقائه في مكة، وأشار إلى أن أسعار البضائع تتفاوت بشكل حاد تبعًا للحالة الأمنية للتجارة، ولكنه لم يشر إلى وجود أي مسؤول في هذه الأسواق سواء كان يمثل الإدارة السعودية أو غيرها(١٨٢).

ومن الواضح أن مكة لقيت عناية إدارية خاصة، ليس في ميدان السياسة فحسب، بل وفي الاقتصاد أيضًا حيث لم تحدثنا المصادر عن أن السعوديين جبوا الزكاة من مكة أو أنهم سنوا أي نوع من أنواع الضرائب فيها، وعلى العكس من ذلك كان الشريف غالب أكثر استفادة من السعوديين أثناء تلك المدة.

أما في ميدان الزكاة فقد ذكرت بعض المصادر أن السعوديين كانوا يجبون الزكاة من مناطق الحجاز كافة ما عدا مكة وجدة، حيث سمحوا للشريف غالب بالاستمرار في جمعها(١٨٣)، وهكذا يتضح التميز الاقتصادي الذي تمتع به الشريف غالب بخلاف عمال المناطق الأخرى. وفي الوقت نفسه فقد تحدثت المصادر عن نقص دخل الشريف غالب بعد ضم السعوديين الحجاز بسبب إصرار الإمام سعود بن عبدالعزيز على إعفاء البضائع التي تخص أتباعه من الرسوم الجمركية، وبهذا أصبحت معظم تجارة البن معفاة من

(182) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, pp. 96-98.

(183) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, pp. 127 .

وقارن ذلك بما ذكره بريدجز عن المدينة المنورة، انظر: هارفرد جونز بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ص١٠٧.

الضرائب(١٨٤). ولكن الجبرتي لحظ أن الشريف غالب استمر في أخذ العشور من التجار الأجانب في ميناء جدة وحجته في ذلك أن هؤلاء مشركون لا موحدون(١٨٥).

وانطلاقًا من اهتماماته الاقتصادية بادر الشريف غالب إلى تعزيز وجوده السياسي والعسكري والاقتصادي في جدة وينبع وسواكن ومصوع، ويبدو أنه أراد أن يجعل من مينائي جدة وينبع خطين دفاعيين وملاذين آمنين لا يسمح فيهما للسعوديين بأي نفوذ فعلي. وقد بادر الشريف غالب في تنفيذ ذلك، حيث جعل من جدة مقرًا له، وزاد من تحصيناتها، وقد أشار بوركهارت إلى أنه لم يسمح للسعوديين بدخولها أو كما قال ابن بشر: "ومنع الغرباء والسفار من أهل جهتنا عن دخولها واستوطنها أغلب أيامه". أما جحاف فبعد أن ذكر خبر الصلح، وأن غالبًا أذعن لكل ما طلب سعود؛ وذكر أنه اشترط على أن لا يدخل جدة بعد هذا اليوم أحد من أتباعه، كما اشترط حفر خندق حول المدينة، وعندما احتج السعوديون بحاجتهم لدخول جدة من أجل التجارة تعهد غالب ببناء سوق خارج السور، فتم الاتفاق(١٨٦).

(184) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, pp. 127.

جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ٥٥، وهارفرد جونز بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ص١٠٦.

(١٨٥) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، ج٣، ص١١٧.

(١٨٦) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ص٥٨٢-٥٨٦، وابن بشر، ج١، ص٢٨٧، وجون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٥٣، ولطف الله بن أحمد جحاف. درر نحور الحور العين، ص٦٤٠.

بالإضافة إلى ذلك فإن الشريف غالب لم يركن إلى ما اتخذه من إجراءات في جدة وينبع، بل عمد إلى تهيئة خط دفاع ثان في بعض موانئ البحر الأحمر الأفريقية، حيث لحظ علي بك أنه على الرغم من أن السعوديين يحجمون نفوذه يومًا بعد يوم إلا أنه ما زال يحافظ على بعض النفوذ في الموانئ العربية (أي الموانئ المطلة على الجزيرة العربية)، وكذلك في ميناء القصير من خلال تعاملاته مع المماليك وأهل الصعيد في مصر. كما كان يحصل، باسم السلطان العثماني، على الضرائب التي تؤخذ من سواكن ومصوع وعدد من الجزر في البحر الأحمر(١٨٧).

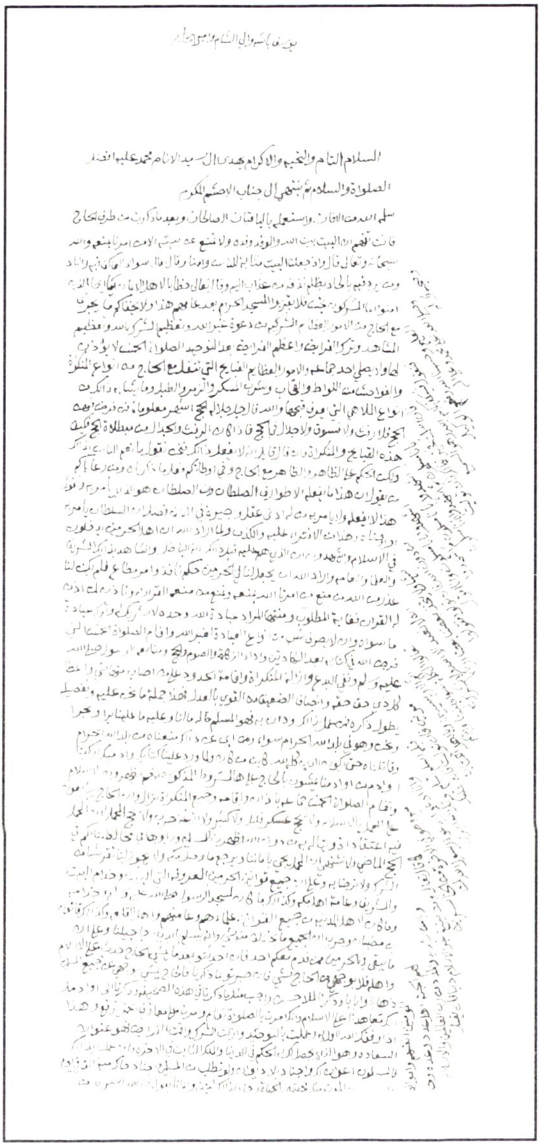
(187) Ali Bey, Traveles of Ali Bey, vol. 2, pp. 123, 127.

## الخاتمة

تمكنت الدولة السعودية من ضم مكة المكرمة وحكمها مدتين؛ كانت الأولى في نهاية عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد لوقت قصير جدًا لم يتجاوز ثلاثة أشهر، في حين كانت المدة الثانية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز وامتدت لسبع سنوات. وبعد أن استعرضنا محاولات السعوديين للسيطرة على مكة، حاولنا التعرف على أوجه التغيير التي مرت بها تلك المدينة المهمة خلال تلك الحقبة المهمة من تاريخها. ولمعرفة تلك التغيرات بشكل أفضل تم تقسيم الإدارة إلى أربعة أقسام هي: الإدارة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، وبتحليل تلك الجوانب خاصةً الإدارة السياسية والدينية اتضح لنا جواب فرضية هذا البحث حول إدارة مكة في عهد الدولة السعودية الأولى، وهو أن السعوديين بالرغم من أنهم تمكنوا من بسط سيادتهم على مكة، إلا أن إدارتهم لها لم تكن انعكاسًا لسلطتهم القوية التي برزت في بقية المناطق الأخرى الداخلة تحت حكم تلك الدولة، وقد ظهر للباحث من خلال دراسة وتحليل الإدارة السعودية لمكة من جميع جوانبها بعض جوانب الضعف في تلك الإدارة، وكان ذلك بسبب خصوصية التعامل مع مكة المكرمة وحكامها في تلك المدة.

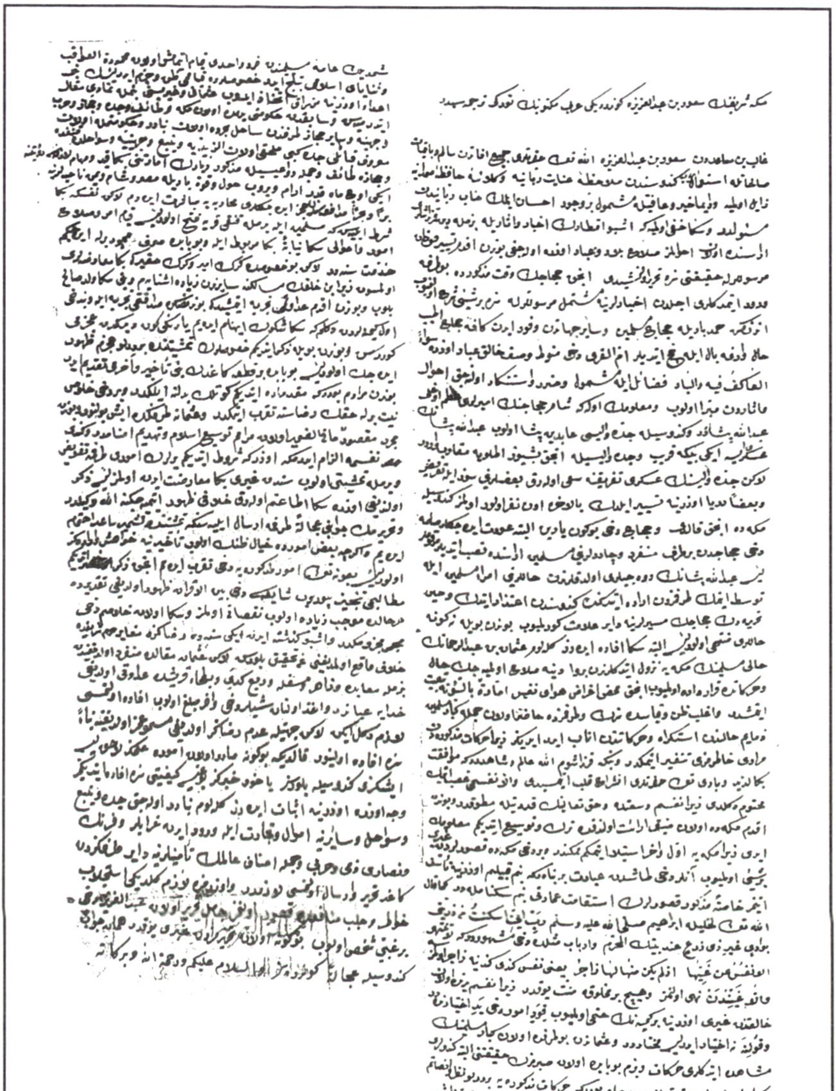
ومن الواضح أن السعوديين تنازلوا عن بعض مظاهر الإدارة السياسية المتمثلة في وجود ممثل لهم في مكة، أو لنقل أنهم تعاملوا مع إدارة مكة بواقعية كبيرة أملتها ظروف الزمان والمكان.

# الملاحق



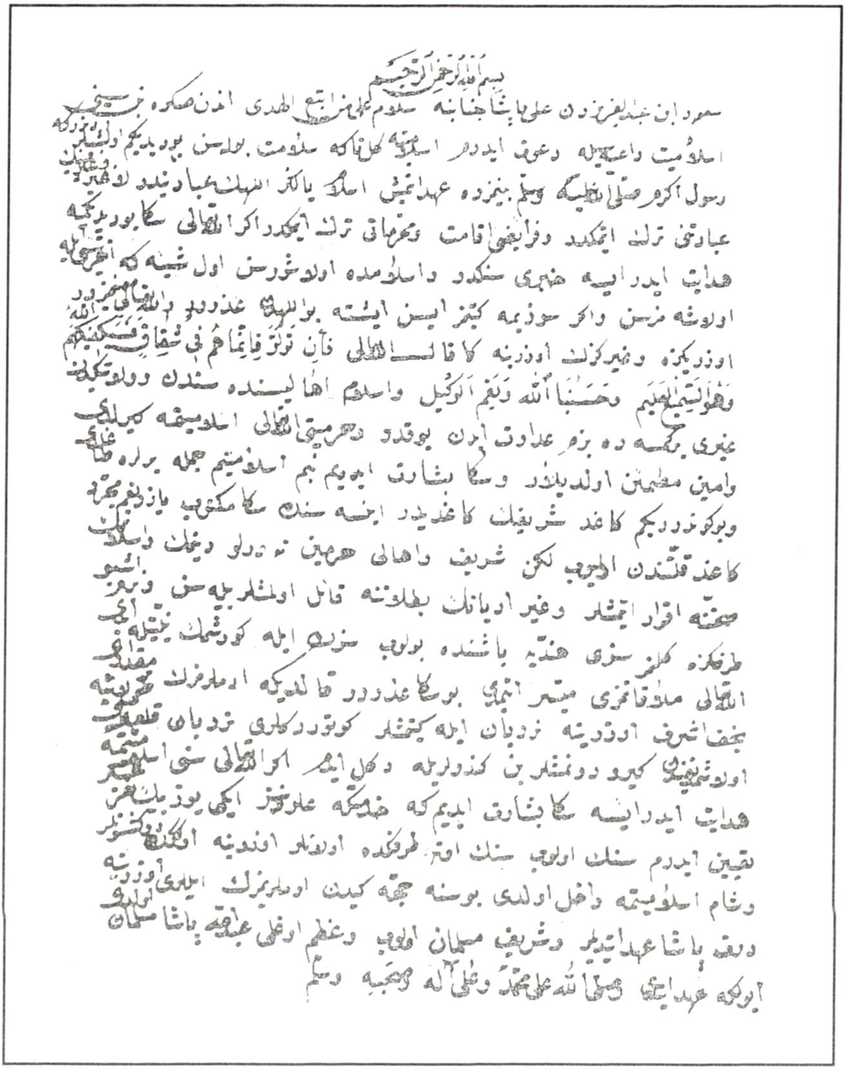
ملحق رقم (١)

رسالة من الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى يوسف باشا والي الشام


مكه شريفلى سعود بن عبدالعزيزه كوندرديكى عربى مكتوبك توركى ترجمه سيدر

ملحق رقم (٢)

رسالة من الشريف غالب بن مساعد إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز


بسم الله الرحمن الرحيم

سعود ابن عبدالعزیزدن علی پاشا جنابنه سلام علی من اتبع الهدی اندن صکره ...

اسلامیت داعیه‌یله دعوت ایدوب اسلامیته کلناکه سلامت ...

رسول اکرم صلی الله علیه وسلم ...

عبادتنی ترک ایتمکده و فرایضی اقامت و محرماتی ترک ایتمکده اگر الله تعالی سکا ...

هدایت ایدر ایسه ...

[illegible]

... فان تولوا فانما هم فی شقاق فسیکفیکهم الله

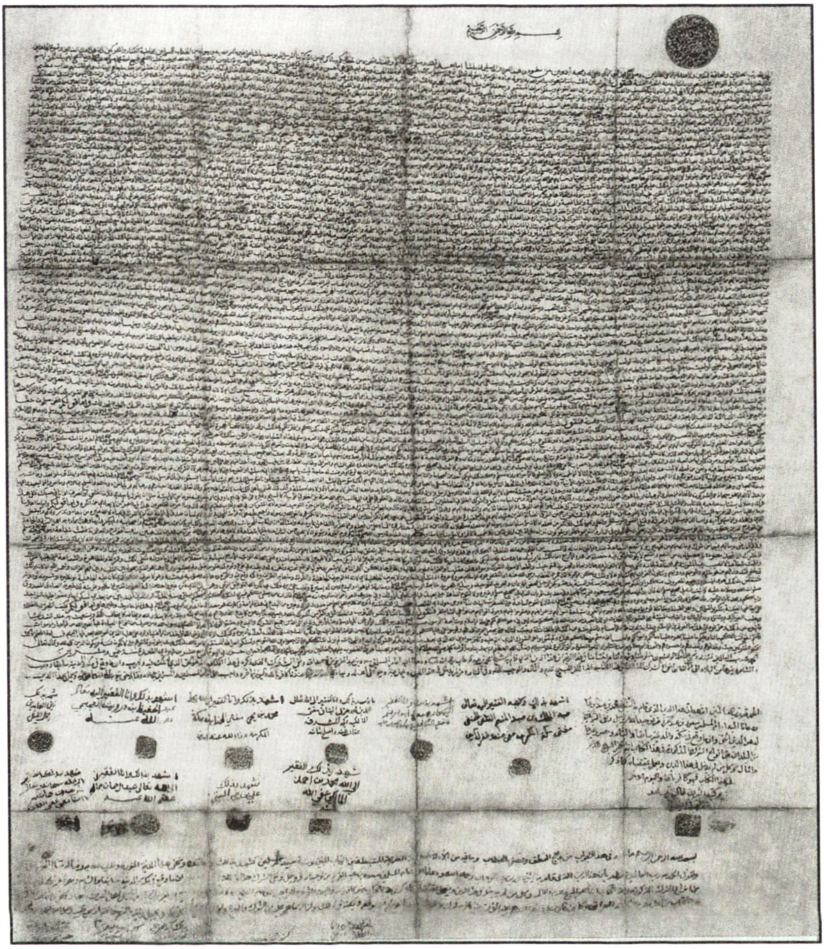
وهو السمیع العلیم وحسبنا الله ونعم الوکیل ...

[illegible]

... وصلی الله علی محمد وعلی آله وصحبه وسلم

ملحق رقم (٣)

رسالة من الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى علي باشا والي بغداد



ملحق رقم (٤)

رسالة من الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى سليمان باشا والي الشام